خطوة في الحلم

مجموعة قصصية

نعمة مهيوب الحميري

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

دار ديوان العرب للنشر و التوزيع – مصر - بورسعيد

اسم العمل : خطوة في الحلم

اسم المؤلف : نعمة مهيوب الحميري

الجنسية : اليمن

التصنيف الأدبي : مجموعة قصصية

الطبعة الأولى : ٢٠١٩

الترقيم الدولي : ٨ – ٧٨ - ٦٧٠٧ – ٩٧٧ - ٩٧٨

رقم الإيداع : ٢٢٥٢٧ / ٢٠١٩

تدقيق لغوي : نجاح السرطاوي

تصميم الغلاف : محمد وجيه

المدير العام : محمد وجيه

تليفون : ٠٠٢٠١٢١١١٣٢٨٧٩

الإهداءُ

إلى وطني:
أضـواء من الأمل والنور المتوهج بأعماقنا بثقتنا بحياته برغم الموت الذي يحاصرنـا فنحن مؤمنون بحياة هذا الوطن العظيم ومن حياته ها هي تنبعث حياتنا.
إلى والدي الغالي الذي يرافق أعماقي تقبل تيجان من الفخر الذي لا يوازي شموخك لتشمخ أكثر أيها السامق.

إلي والدتي:
تقبلي أيتها الغالية بعضًـا من فتنتي التي طالما فخرتِ بها لتمديني بـروحـك حـيـاةً وتجـددًا وهـا هي خـطـوتي واثـقـة بـروحـك.

إلي أختي الغالية الأستاذة القديرة نوال الحبيشي:
تقبلي باقـــات محبة من أسوار محبتك التي أحاطني بها نبل وفائك فأ نت ســياجي الرفيع الذي أهرع إ ليه كلما اختفى الإنســان

إلى زوجي: الذي وقف إلى جانبي محفزًا ومشـــجعًا لتكتمل خطوتي لنبضـــه الدفاق المخلص المتفاني، روحي التي لا تليـــــق إلا به.

إلى أبنائي:
خذوا نورًا من أرواحكم الغالية علي والتي تهديني برغم الظلام فأستنير بكم لأنجز يا حيواتي الخالدة.

إلى زملائي المبدعين:
ها هي خطوتي بين أيديكم هي لكم ومن أجلكم لتحرضـــكم على الإنجاز.

أتمنى أن تنال استحسانكم...

نعمة الحميري

****

المقدمة

ما قبل الخطوة الأولى

"كانت تعلم أن عليها أن تجهز نفسها لمسيرةِ كفاحٍ طويلةٍ وشاقةٍ، لا تعلم منتهاها، وأن على الإنسان في الصحراءِ ذاتِها ليبدأ السير، أن يرفع رأسه إلى السماء؛ ليقرأ رموزها ويفك طلاسمها، ويبحث عن مصـــابيحها التي يتحتم عليه أن يكون على درايةٍ ومعرفةٍ بها لترشدهُ إلى حيث يتجه فيصل..."

هكذا تبدأ قصـــة (إرادة) في هذه المجموعة القصـــصـــية التي تعد باكورة النتاج القصصـــي للقاصة نعمة الحميري التي عرفتها منذ ما يقرب من عقد ونصف أو زد عليه، وهي تشـــرع في محاولات سردية تعمل على نشـــرها هنا وهناك، وكنت أنتظر أن أرى منجزها القصصي قبل الآن، بيد أن المبدع في الواقع اليمني ينتزع حضوره من وســط ركام المعاناة بصـعوبة بالغة، وكم هي الظروف العامة في وطننا الجريـــــح محبِطة لكل فرد، فكيف بالمبدع الذي يمتلك حساسية عالية، ويشعر بالإحباط نظرًا للهوة السحيقة بين الحلم والواقع، فكم أمامه من خطوات في مسارات العناء ليصل إلى حلمٍ

أو إلى بعض حلمٍ من أحلام الحياة التي ظلت تترآى له من بعيد، وكلما حاول أن يقترب منها تنأى وتنأى، فيظل وأحلامه في مطاردة لا تنتهي، ذلك حال المبدع، فكيف بحال المبدعة التي تتناهشـــها صـعوبات الواقع العام، وتحديات الواقع الأسري الخاص، والتزاماته، ومنعرجاته، وموجعاته.

بيد أن المبدع/ المبدعة يجد عزاءه في الحياة حينما يحتضن نصوصه وقد غدت ســـائرة في كتاب مطبوع، ولا يروي غرورَه غيرُ ســـفر كتابه في آفاق الكلمة، بين أيدي القراء والمهتمين.

وهاهي المجموعة القصـــصـــة (خطوة في الحلم) تجد طريقها أخيرًا للنشـــــر، فتولد معها الكاتبة من جديد، وتولد معها بالتأكيد رغبة جديدة في إنجاز جديـد يتجاوز هذا الإنجاز، ويمتد به ومعه في أفق السرد الأنثوي في اليمن.

الشـخصـية في هذه المجمـــــوعة (عمومًا) تحاول النفاذ من خلال جدران اسمنتية في واقع صلدٍ.. تحاول تتسلح بـــ(إرادة) لا تعترف باليأس، تنتصـــر خلالها الكاتبة لبنات جنسها من خلال البوح، ألم تنتزع شـــهرزاد حقها وحقوق بنات جنســـها في الحياة من خلال السرد الذي كان سلاحها في مواجهة الموت، ودرء الفناء؟!

كتبت هذه المجموعة مخضبة بأوجاع الواقع الاجتماعي، وتخضبت بخضابه، وهي تقدم نفسها للقراء فهم الذين ينفخون فيها الحياة.

أحيي الكاتبة التي ما فتئت تكابد لأجل النص، وتستفتح خطواتها في طريق الحلم بخطوة إعلانًا ببدء السير، علها تصل إلى أحلام المسار، فالفنان يرتقي دومًا إن أخلص للحياة، واحترف الفن، وعاش به وله.

أ.د عبد الحميد الحسامي

****

كلمة الناشر

خطوةٌ في الحلمِ

مجموعة قصصية للقاصة المبدعة الأستاذة: نعمة مهيوب الحميري

حيث قدمت لنا فيها لوحاتٍ فنية أدبية باحترافٍ وتمكن وإبداع فائق، فكانت مميزة في مواضيعها التي طرحتها ورسائلها السامية التي تحمل الكم الكبير من الحكمة والعبرة، و قد نسجت قصصها من واقع الحياة، لا تحتمل الخيال فيها، كل حرفٍ كان في مكانه وضاءً يشير للقارئ بفحواه وجوهره القوي المعبر، لقد استخدمت الكاتبة الأدوات المتينة لتأسيس قصصها فكانت الدهشة فيها قوية، والحبكة القصصية رائعة، والمشاهد منسقة بإتقان وتفنن، مما يعطي لمحة عن ثقافة الكاتبة وتمكنها من كتابة فن القصة القصيرة.

كل الأمنيات الجميلة للكاتبة المتألقة ولقلمها المبدع.

محمد وجيه

مدير دار دیوان العرب

****

تقمصٌ

ذكاؤها وبديهتها حبَّباها إلى والدها كثيرًا، كما كان لتشـــجيعهِ لها وثَنَائه المتواصلِ عليها دورٌ كبيرٌ في تنميتهما، تعليقه على تصرفاتها كان دائمًا حاضرًا وبقوةٍ.

أرأيتم، لـــــو كان أيّ واحدٍ منكم مكانها، هل سيتصـــــرف كما تصـــــرفتْ؟! ليتها كانت ولدًا، آه لو لم تكن بنتًا، كانت تتـــــرك تعليقات والدها انطباعًا سيئًا، كما رسمتْ في داخلها صورةً سلبيةً للأنثى التي لا ينتظرُ دائمًا منها ما يُســـرُّ، وأنَّ صدور العظيم منها يُعدُّ كســـرًا للمألوف، وخرقًا للقاعدة، كلّ ذلك وغيره جعلها تَفرُّ من أنوثتها تلك التي لا يكادُ والدها يتذكرها كلما أحســـنت في شيء إلّا وكانت مبعثًا على تأوهِهِ وتحسرِهِ.

أإلى هذه الدرجة خســـرَ أبي لعدم كوني ولدًا؟ ما يحمله على كلِّ هذه الحسرة والتندم؟! ليتني كنتُ ولدًا؟ ولماذا لا أكون؟

بدأتْ تتصـــــرفُ كالأولاد، فكونها منفردةً بين بضعة أبناء ذكور جعلها ومنذ سنواتها الأولى تقلدهم في الحديث، وفي ارتداء الملابس التي كانوا يتوقعون تخليها عنها لاحقًا، وهو ما رفضته رفضًا قاطعًا، بل وصلَ بها الأمر ذات مرةٍ بعد رفض والدتها قصَّ شعرها إلى سَرِقة

مقص الخياطة لتقومَ هي بمحاولة قصّـــهِ، ممَّا دفع بوالدتها إلى تعديلهِ ليصبح بالفعل كشعر الأولاد، ولكن بعدما أدت محاولتها إلى تشويههِ لتضـــرب بسببهِ ضربًا كادت آثاره على جسدها ترمي والدتها خارج العشرة الزوجية، لينتهي الأمر بتوجيه والدها للجميع أمها وإخوانها الأكبر منها لكثرة مضـــايقتهم وضربهم لها بســـبب تصـــــرفاتها الصـبيانية، والتي لطالما سـببت لهم حرجًا كبيرًا بين أقرانهم.

- اتركوها ترتـــــدي ما تشاء أتمنَّى أن تشتكي من أحد، افهموا أنَّها لاتزال صغيرة، وحين تظهر أنوثتها فإنَّها بلا شكٍ من تلقاء نفسها ستلبس كأيّ بنت، وهو ما لم يحـــــدث، ذلك أنَّ خوفها من ظهور الأنثى التي قال عنها والد ها والتي ينتظر الجميع بفارغ الصـــبر إطلالتها، جعلها تخفيها أكثر، بدأتْ تتصرفُ بحذرٍ وحرصٍ كبيرين، بحيث لا يبدر منها ما يوحـي بأنوثتها التي كان لتفكيرها الدائم بها دوره في ظهور علاماتها المبكرة، والمبكرة جدًا، والتي كلما اقتربت منها حاولت الابتعاد عنها بتكلف، ما يقنع الجميع لا بكونها ولدًا، بل بكونها رجلًا من خلال تكليف نفســـها ما لا طاقة لها به، فكم أصرَّت على مرافقة إخوانها أثناء ذهابهم ليلاً لحراســـة مزارعهم، والذي ما كانت تفضـــي دائمًا نتيجة رفضهم لاصطحابها إلى حنق والدهم وقيا مه بالمهمة بنفســـه، ولكن بعد ضربهم،

وأحيانًا كثيرة طردهم من المنزل، ومن دون شـك سـتكون برفقتهِ لتُظهر من رباطة الجأش والشـجاعة والصـمود في وجه البرد والنوم ما تقنـع والدها من خلالهِ أنَّها لا تقل كفاءةً عن أبنائهِ الذكور، إن لم تكن أكثر منهم، بل وفي بعض الأحيان منه هو.

وكانـت تسـتمتع كثيرًا عنـد عودتهمـا إلى المنزل بحـديثـه عن تصـرفاتها، التي لم يكن يتوقع صدورها منها.

نجاحاتها في إتقان سلوكها الرجولي، كانت توجهه كسهامٍ قاتلةٍ إلى تلك القابعة في أعماقها والتي قال والدها أنَّها ستظهرُ ذاتَ يومٍ، وها هي بقدر ما يزيد غيابها في الخارج يزيد من حضـورها في الداخل، حتى أنَّها بدأت تتحاشى الجلوس وحدها هربًا من أسئلتها المفحمة، والتي لم تكن تجد لها جوابًـا مقنعًا، وحدها من تسمعها، بل كانت تخشـى أحيانًا لو يسمع الآخرون، صراخها المدوّي في أعماق جُبِها.

- لماذا تكرهينني؟ لماذا تعاملينني بهذه القسـوة؟!! أجيبيني، لماذا تعاقبينني كلَّ هذا العقاب؟

لم تكن طبعًا لتُجِيبها.

أنا شيدها الدائمة، شغلها المتواصل، حركتها المستمرة، كلُّ ذلك كان هربًا من مواجهة تلك التي لا تكادُ تصـمتْ أو تخلو بنفسـها إلا وتمثل أمامها صـارخةً متوسـلةً، عليها ألا تنفرد ألا تخلو بنفسـها هربًا من مواجهتها، وعليها أيضًا أن تكون آخر من ينام، هربًا من

بوجِ النومِ وضــعفه، لم تكن لها القدرة على تحمل كلِّ هذا، إذ لا بد لها من المواجهة، لتعتبر التفاتتها إليها اعترافٌ بما لا بد لها من الاعتراف به.

- اسـمعيني ولو لمرة، أنا أعرف أنَّكِ تريـــدين أن أناديكِ بصـيغة المذكر، وهو ما لن أقوم به أبدًا، لأنّي وإن كنتِ تكرهينني أحبُّكِ، ولن أكذب عليكِ كالآخرين، أعرف أنَّـــكِ أنثى، وتعرفين ذلك أنتِ، ويعرفه كلُّ من حولك.

- بل ذكر، أنا ولسـتُ أنثى، ألا تريـــن أنّي أصـنعُ كلَّ ما يصـنعه الرجال؟!

- تكذبين على نفسـكِ، ليس كلّ ما يقومون به تسـتطيعين القيام به.

- بل صنعت، وأصنع حتى ما لا قدرة لهم على فعلهِ.

- هل تستطيعين السباحة مثلهم؟

- أستطيع وربما أفضل منهم.

- تستطيعين السباحة نعم، لكن وحدكِ، هل تجرئين على السباحة معهم، أم أنَّكِ تخشين من تعري جسدكِ الأنثوي المثير أمامهم؟!

- تكذبين أنا لا أخشى أحدًا، وسأثبت لكِ ذلك.

- إن فعلتِ ذلك أعدكِ أن أنسحبَ من حياتكِ وإلى الأبد.

- سأفعل وسترين...

- سأكون معكِ لأرى...

- قد يكون هذا هو ما قد يخلصني منها، ثم هو اختبار لنفسي لماذا لا أقوم به؟

توجهت إلى أعلى الوادي، وتحديدًا إلى حيث بُنِيَ السدُ، حيثُ يسبحُ صبيانُ القريةِ والقرى المجاورة.

وقفتْ على حافةِ السدِ، عازمةً على مشاركتهم في ما قيل إنَّها غير قادرة عليه في وجودهم، وحين أدرك الجميع أنَّها عازمةٌ على السباحةِ مثلهم ومعهم، توجهت أنظارهم إليها، بدت لهم عارية بالرغم من أنَّها لم تزل مرتدية كلَّ ملابسها، توقفَ الجميع عن الحركة

وتوقفَ الماءُ

ووحدهُ الوقتُ ظلَّ يتحركُ كعادتهِ.

ومن ذلك الحين.... وهم ينظرون إليها.

****

إرادةٌ

ضــاقتْ من جدرانِ نفســها الإســمنتيةِ العاليةِ، ومن قصــة بيتِ الحلزونِ هذه، لتقررَ التمرّدَ على نفســها والبحث عن مخرجٍ أو سردابٍ طالما ســمعت أن كثيرين بحثوا عنه فخرجوا من ذواتهم، كثيرةٌ هي الحواجزُ التي يجبُ على الإنسان أن يتخطاها إذا ما أراد أن يرى نفســه على طبيعتهِ كإنســانٍ حُرٍ له الحقُ في الحياة، وكثيرةٌ هي الأبوابُ التي يحتاجُ الإنســانُ إلى البحثِ عنها قبل فتحها، إنْ لم يكن عليه استحداثها ليخرج من غربتهِ الغريبةِ هذه...

غربتهِ كونهِ يشعر وهو يعيشها بكلِّ ما يشعر به الغرباء.

الذي يبحثُ عن وطنٍ يحتويه، وبيتٍ يسكنه، ذلك أنَّ صاحبَ هذه الغربة يبحثُ عن مهربٍ من وطنهِ ومخرجٍ من سكنهِ.

كانت تعلم أن عليها أن تجهّزَ نفسها لمسيرةِ كفاحٍ طويلةٍ وشاقةٍ، لا تعلم منتهاها، وأنَّ على الإنســان في الصــحراءِ ذاتهِ ليبدأ الســيرَ أن يرفع رأســه إلى الســماءِ ليقرأ رمزها ويفكَ طلاســمها، ويبحثَ عن مصــابيحها التي يتحتمُ عليه أن يكون على درايةٍ ومعرفةٍ بها لترشدهُ إلى حيث يتجه فيصل، وما لم يكن على علمٍ بها أو حالت الغيوم بينه وبينها، فعليه أن يعلِّقَ نفســه على خيطِ روحه، تاركًا

لبوصلةِ قلبهِ تحديدَ اتجاههِ الذي ستشيرُ إليه سبابةُ حدسهِ التي لا تخطئ ولا تضـــل، ذلك أنَّها تمثلُ ســـماءهُ الدنيا التي لم تفتقْ عن أرضـــهِ بعد، إلا أنَّها لم تكن تعلم أنَّ الحياةَ مســـألةٌ حســـابيةٌ إذا أخطأ المرءُ في إشارةٍ واحدةٍ كانت طريقتهُ صائبةً وحلهُ خاطئًا..

وأنَّ على الإنسانِ ليتبوصل أن يتخلى التخلي التام عن أهوائهِ وميولهِ، وأنَّ انحرافَ عقرب آلته مليمترًا واحدًا في علبةِ جســـدهِ يعني في نهايةِ الدربِ الانحراف مئات إن لم يكن آلاف الأميال عن النقطة التي يبحث عنها حرفه.

وبدأت في السيرِ حسب إرشاد سهم بوصلتها الذي لم يترك حرية التحرك لها، لتفضـــــي بها الدروب حاملةً معها نفســـها بجدرانها الإســـمنتية العالية، إلى فناء أنوثةٍ ذات جدرانٍ إســـمنتيةٍ أعلى، لتضـــيف إلى عُزلتها عزلة، وإلى جدران ســـجن نفســـها كإنســـانٍ جدران ســـجنها في المجتمع كامرأةٍ، عليها وعليها وحدها حمل قفصها وقفصه إلى حيث تستطيع أن تتنسم روح فضاء الحرية الفسيح، وتستروح أريج الحياة العطر، وأنى لها ذلك في مجتمعٍ ملغمٍ بالغرائز ومسوَّرٍ بالنزوات.

حاولت كثيرًا التســـلل والهروب لتشـرف على الوقوع قطعةِ لحمٍ في حفرٍ منتشـــــرةٍ هنا وهناك مليئة بالقطط والكلاب الضالة، فراشةٍ حائمةٍ في فخِ زهرةٍ مفترسةٍ في باقةِ معجبٍ متسكع، أو إذسانة في

شركِ ملاكٍ أعماها نوره عن رؤيةِ شيطانهُ فتحذرهُ، وأعمتهُ غريزتهُ عن رؤيةِ ملاكها فيحترمهُ ويخلصه.

ربما عليها أن تقترب كثيرًا من المارة لتسألهم عن مَمَرٍ يفضي بها إلى حيث تأملُ لتسترجل كثيرًا عَلَّهم يألفونها فيهدونها، ليستأنث أكثرهم أكثر علَّها تألفهم فتضلهم، رحلة لم تعدْ بوصلةُ القلبِ قادرةً على أداءِ دورها في فراغٍ انعدمتْ فيه الجاذبية، بدأتْ تستدلُّ على اتجاهها في محاولتها الخروج بهبوبِ الرياح، واتجاه الظلِّ بالتطيرِ تارةً، وبقواقعِ العرافاتِ أخرى، لتقع عينها ذات استرشادٍ أو تديّنٍ أو هروبٍ وهي تقرأ في الأرضِ ما نزلَ من السماء.

آيات في سورةِ الكهف، لتسألَ نفسها: ولماذا الكهف بالذات؟

سيخرجون يومًا مع فسادهم كثمرةٍ للإصرارِ ومكافأةٍ على العزيمةٍ، فلا بد أنَّنا سنخرج مع صلاحنا إذا ما واصلنا الحفرَ والتنقيبَ، فليست سدودنا بأكثر صلابة وارتفاعًا من سدهم...

سدودًا كثيرةً حفرتها، ودروبًا طوالًا قطعتها، وأبوابًا موصدةً فتحتها، في رحلةِ خروجٍ من قصةِ هذهِ الجدران، وهذا البيت الذي لا تنتهي أبوابه، ولا تفضي إلا إلى أكثر منه عزلة وأقسى غربة.

وها هي ذي ما زالت عازمة في مسيرةِ كفاحها، لكنَّها هذه المرة متكئة على قصةٍ استقت منها العزم لتصل أخيرًا مطوقة بجدرانِ

نفسها الإسمنتية العالية، إنما حاولت الخروج من حصارِ أسوار وجدران قصة البيت، لتدخل في حصارِ أفكار وأذهان بيت القصة.

****

مقايضةٌ

وحدهُ في الحفلةِ من كانت يداهُ فارغتين من قوالب الثلج التي يحملها الجميع، ثلج أعمارنا التي نكاد نموت من الظمأ بينما هي سادرةٌ في آنيةِ أصابعنا، لا هي ذابت فنرتشفُ منها ما يروينا من ظمأ الحياة، ولا يئِسنا منها فرميناها.

قوالبُ ثلجٍ حملناها لنقضي الحياة كلَّها في البحث عن لحظاتٍ حارة، ومواقف دافئة، تُذيبُ منا لنا ما يعيننا على إكمال سفرنا في رحلة التخلص منا.

ربما أن تخلصه من قوالب ثلجه، هو ما جعله يملأ أواني أصابعه، بالكتابةِ.. الرسم.. العزف ويتقنها إلى درجة نفخه الروح فيه، أودُ مهاتفته، لولا تصرفاته الأخيرة معي، تصرفات توحي بتضايقه مني، وإلا ما معنى أن أتصل به مرارًا فلا يرد، يَعِدُني ثلاث مراتٍ أن نخرج إلى البحر، وألقاهُ حيث التقيت بهِ أول مرةٍ تعرفتُ فيها عليه، ثم لا يأتي.

أعرف أنَّه حين يغرق في الكتابة، أو حين يذوب في ألوانهِ، أو يتحدُ بكمانهِ، ينسى حتى نفسه.

لم يغضــبني عدم وفائه، وعدم حُضــوره إلى حيث اتفقنا، رغم انتظاري إلى وقتٍ متأخرٍ خوفًا من مجيئه وقد انصـرفت، مما جعلني عرضة لأعين وظنون الغادين والرائحين.

ما أغضــبني إلى جانب كذبه عليَّ... إصراره عليه، ذلك أنَّني وفي كلِّ مرةٍ أخرجُ فيها إلى حيث وصف لي، أتصلُ به لأستفســـر منه عن عدم مجيئه، يسبقني هو متسائلاً عن سبب عدم مجيئي.

أســـأله عن مكان توا جده، فيجيبني: أنَّه في نفسِ المكان، وأنَّه في انتظاري منذ وقتٍ مبكرٍ، أقول ربما مازحًـــا، أكرر الاتصـال به فيؤكد لي أنَّه في نفس المكان الذي أنا واقفةٌ فيه.

جعلني أشكُ في المكان رغم أنَّني أعرفه جيدًا، أتنقل في الشاطئ هنا وهناك.

- متأكدة.... المكان نفسه، جعلني أشك في نفسي.

بعد انقطاع طال... هاتفني، لم أشأ أن أبدأ بالعتـــاب إذ أنَّ العتابَ لن يطفئ غضبي، أتفاجأ.

- انتظرتك ثلاثة أيام ولم تأتي...

لم أعد أسْــمِعُهُ كلمات التبجيل والإعجاب التي كنتُ أقولها له، أجبته بلهجةِ الغاضبة.

- دعنا مما مضى، تريد أن تقول شيئًا؟

- فقط أين أنتِ الآن؟

- على البحر-مبالغةً في السخرية والتهكم عليه -أنـــا على البحر، وتحديدًا في المكان الذي التقينا فيه أول مرة.

- هل تريني؟ أنا بجانبـــكِ تمامًا، هلاَّ نظرت إلى حيثُ كنتُ أُشيرُ لك ذلك اليوم.... إلى مكان التقاء البحر بالأفق.

بدأ يذكرني بما حملني ودون إرادةٍ مني، إلى ذلك المكان، لا أعرف كيف بدأتُ فعلاً أرى البحر، وهو يعزم بقوة، ما إن يقترب من الشـــاطئ حتى يبدأ بالتراجع، تذكرتُ حين قال لي ذلك اليوم: ليس البشـــر وحدهم من يحاولون تغير أوضاعهم أو الخروج منها، حتى البحر يحاول الخروج في كلِّ لحظةٍ، البحر أكثر من يغير رأيـــــه في هذه الحياة، وهو أكثر من ينجح بذلك، لأنَّه أكثر من يحاول.

- هل مازلت ترينه؟

- مازلت أراه وأسمعه.

- أغمضي عينيكِ وحاولي الانفراد به أطول فترة ممكنة.

بدأت ثورة غضبي منه تهدأ، حين بـــدأتُ أكتشف أنهُ ربما كان محقًا، ربما أنَّه هو من كان على البحر، حين كنتُ أخرج وأظلُّ أنتظره، في كلِّ مرة كنت أخرج فيها، لم أكن أشـــعر أنَّني أقفُ على البحر، بل على الجمر.. جمر انتظاره الذي حرمني من كلِّ مفردات الطبيعة هناك.

اعتـــــذرتُ له وتأسفتُ لأنّي فعلاً من كنت أتخلف عن الخروج.... رغم خروجي.... لا هو.

اكتشفتُ من يومها أنَّ بإمكان الإنسان أن ينتقل إلى حيث يشاء، وهو مستـرخٍ في مكانـــــهِ، كما أنَّ انغلاقهُ على نفسهِ قد يحول بينه وبين المكان والزمان وهو فيهما.

علمني أنْ أنظرَ إلى الحياة من الداخل قبل أن أراها من الخارج، وأنَّ الأشياء العظيمة لا يجب أن تصل إليها جوارحنا، إلا بعد أن تكون قد عاشـــتها أرواحنا، وكي نخرج بأجســـادنا إلى البحر مرة لا بد أن تكون عقولنا وقلوبنا قد خرجت إليه مرارًا، تعرفه ويعرفها، وتألفه ويألفها، ومتى دعانا هو للخروج إليه خرجنا جسدًا وروحًا.

- سنقوم برحلةٍ إلى السماء؟

- حين يكتمل القمر.

****

استباقٌ

مرهقٌ من السير وظامئٌ، والساعةُ واقفةٌ وممتلئةٌ بالماءِ، والشمسِ تلفحُني مرتين كلّما رأيتُ احمرارَ خديه.
إنَّه يرغمني كما أبي يرغمني على الذهاب إلى أماكن لا أحبذها، أو يرغمني على أن أفعلَ أشياءً ولست مقتنعًا بها.
ها هو ذا محمد ابني يفرضُ عليَّ الذهاب إلى أماكن لا أحبذها أيضًا كخروجي به اليوم إلى الحديقة، كنت أفكر في أخذهِ إليها، ولكن في وقت آخر... أي آخر؟ لا أدري! ربما في وقتٍ يجتمعُ فيه شتاتُ النفسِ، وتستعدُ الرُّوحُ للخروج إلى النزهة، لا إلى السجن.
ومتى هذا الوقت الآخر؟ غير محدد بزمن، لكن يوم استلام ما تبقى من راتبي المقسَّط والأشبه ما يكون بالشيء الضائع، برغم حاجتي إليه، وبغضي له، وقلة بركتهِ كعمري، كان محمدُ محقًا في إلحاحهِ عليَّ، لأنَّ الوقتَ الآخر هذا لن يحين!
كدتُ أتراجع حين وصلنا فناءَ الحديقةِ الخارجي، حيث موقف سيارات المتنزهين، إن لم أقل تراجعتُ عن الدخول فعلاً، توقفتُ عن التقدم، ومحمد قد سبقني كثيرًا، بفرحته واندهاشه أكثر، الأمر أصبح أكثر جديَّة مما كنتُ أتصوره، سياراتٌ فارهةٌ كثيرةٌ مصفوفة

خارج الحديقة، البعض مايزالون يترجلون عن سياراتهم بعائلاتهم وأبنائهم، ينزلون مجتمعين في نزهتهم، وأنا ومحمد كمن يدخل ساحة القتال بغير جيادٍ أو سلاحٍ.

لو أنَّ أملَ شعرتْ بما أشعرُ بـــه الآن، لما غضبتْ منيَّ كلَّ ذلك الغضب، ولما دعتْ على نفسها، وندبتْ حظَّها العاثر، إذ لم تكن قادرة على المجيء إلى هنا، كان بإمكاني أن أتدبرَ أيَّ مبلغٍ كما أفعلُ إزاءَ أيّ عارضٍ، وحزن آخر، على محمد الذي لم ألبِّ رغبته إلا بعد أن اشترطتُ عليه ألا يسأل أيّ شيءٍ حين نصل، كعادة الأطفال كلما رأوا ما تصبو إليه نفوسهم.

كلُّ هذا على بعد خطوات من بوابة الحديقة، سنرجع إذًا لنأتي في يوم آخر، هل سيطاوعني في ذلك، وهل سيصدقني أنَّنا سنعود إلى هنا؟ سأسبب له انتكاسةً تفوقُ نكسة حزيران عند العرب، هذا إذا قبل فكرة أن نرجع، ولا أظنه سيقبل بذلك مطلقًا.

هي الأسنة إذن... دخلنا الحديقة أو دخلت أنا، أما هو فقد دخل قبلي.

ترى في أي اتجاه توارى لألمحه من بعيد محلقًا كالطائرة الورقية في أرجاء الحديقة، تدفعه رياحُ دهشتهِ وفرحته، كنت أسحبه بخيط صوتي المنكسر، كلّما شدتهُ لعبة، لا أريده أن يتعلق بلعبة حفاظًا على مشاعره ومشاعري أيضًا، لم أكن أملك قيمة تذكرتها.

أراقبه وهو يرقب الأطفال بلهفةٍ عند كلِّ لعبةٍ قابضًا بيديه على حديد حواجز اللعبة، ملتفتًا إليَّ كالأبكم بكلِّ جوارحه مستجيرًا بي، مستغيثا من رغبةٍ جامحةٍ في مشاركةِ الأطفال، لأول مرة في حياتي أسمعُ صراخَ نظراته بين الحين والآخر كانت تقول: أليس من حقي أن ألعب مثلهم؟! ولأنَّه يعلمُ أنَّهُ لا يوجد معنا إلا إيجار العودة إلى المنزل كان يحتفظ بالسؤال لنفسه.

بدأتْ لي التفاتاتهُ الأخيرة غاضبةً، ناقمةً، حوّلته من طائرةٍ ورقيةٍ إلى طائرةٍ حربيةٍ، صخب صمته فوق سمعي ينبئُ عن إقلاعها، موجةُ خوفٍ عارمة تعتريني، كلما ازدادت ضجة تساؤلاته، الخيط الذي كنتُ أربطُ به طائرته الورقية لم يعد ذلك الخيط لقد أصبحَ سلسلةً حديديةً، إعصارُ خوفٍ يجتاحني من انطلاقةٍ محتومةٍ أتوقعها.

انطلاقة ستجررُني خلفها فوق الأشجار، وسقوف المنازل، وها هي ذي تحين، وها هي ذي السلسلة الحديدية التي توصلنا ببعضنا البعض تبدأ بالارتفاع عن الأرض، ها هي ترتفعُ عن مستوى رؤوس الأطفال لأصرخَ بأعلى صمتي، محمد توقف، لا تنطلق محمد، توقف، قوة انطلاقتهِ، وشدة جذبي له قطعت خيطنا من منتصفه، اندفع إلى الأمام مصطدمًا بطفل آخر سيسقطان لا شك على

الأرض، وقبل أن أصـــرخ بامرأة تقف في نفس المكان الذي توقعت ســقوطهما فيه، التقفتهما فعلاً وطوقتهما بذراعيها، ذراعاها اللتان تطوّقهما الأساور والحلي، اطمأنتْ إلى استقرار محمد والطفل والذي كان يشــبه محمدًا كأنَّهما توأمان، رفعت ذراعيها إلى ما تناثر من شــعرها على عينيها ووجهها، جراءَ خطوةِ الإنقاذِ تلك اعترتني القشــعريرة واجتاحني الذهول أكثر، حين لمحت وجهها، وجه زوجتي أمل!

- من أمل؟! سألتها باستغراب...

- نعم أمل.

- أمل أم محمد؟!

- نعم أمل أم محمد، قالت: محمد -بارتبــاك- وهي تفصل الطفلين عن بعضهما، محمد الذي كان طفلك سيسقطه على الأرض لولا أني تداركته.

ضمت طفلها إليها رافعة شعره عن عينيهِ معيدة تنسيق ملابسهِ الأنيقة.

أرأيت...؟ قلتُ لمحمد، كاد تصـرفك مع هذا الصغير يسقطهُ أرضًا، قم بنا لنذهب، المرأة أخذت طفلها وانصرفت.

التفاتة أمل وقامتها، إلا أنَّها تبدو أصـغر سـناً أوأكثر نعومة وجمالًا منها، لم تغادر عيني حتى اســتقلت ســيارتها، وحين فتحت باب

قيادتها ضغطت على بوق السيارة مرتين أو ثلاثًـــا وكأنَّها تنادي أحدًا.

شيخٌ كبيرٌ في السن، خرجَ من تحتِ ظلِّ الأشجار-فتحَ البابَ الآخر، وانطلقا، نفس الســيارة التي طالما حدثتني أمل عن حلمها في امتلاكِ نفس نوعها، وكم وعدتها حين نشتريها وأن أعلمها القيادة، كنت قد ابتعدتُ قليلًا عن محمد باتجـاه انطلاقها، ومحمد مازال في نفسِ المكانِ ينظر إلى الأطفال بحسرةٍ.

- محمد... هيّا نذهب.

اتجه نحوي بجيشٍ من الأسئلةِ الصامتةِ، والعتابِ المُرِّ

أســئلته لم أجدْ لها جوابًا، أرهقتني كثيرًا، جردتني من أبوتي، عرَّتني أمام العالم، لأصرخ بأعلى صــوتي، كفى كفى أقرُّ بذنبي، أقبلُ بالحكم الذي ستصدره، لأستيقظ مرعوبًا على صوتِ أمي

- عزيز عزيز! استعذ -يا بني -بالله من الشيطان، أيُّ حكمٍ تقبلُ به، ومن سيصدره؟!

- حكم الحياة يا أمي، أخبري قريبتك أم أمل أنـــا لا ولن أتزوج بها.

- لن تتزوج بأمل! وعدناهم نـــذهب اليوم، وإلا سيزوجونها برجلٍ كأبيها.

- قاطعها والدموع تسيل من عينيه.
- خير من أن يزوجوها برجل كأمها.

****

سخريةُ الارتحالِ

كَبُرَ داخل نفسه، امتلأ بذاتـــه، حتى أنَّها لم تعد تتسعه، قرر أن يصـــدر ما لم يعد قادرًا على اســـتيعابه إلى الآخرين... فبزوجته المسكينة التي استغل عدم إيمانها بنفسها بدأ مستغلاً قناطر الحُبِّ المفتوحةِ بينهما، طردَ ذاتها منها، ليعبئها به، وحين أصـبحَ هو يمثلُ كلَّ شيء بالنســـبة لها. لاح تضـــايقه منها...كونها غير قادرةٍ على احتوائه، فهي حسب تعبيره لا تصلح أن تكونَ زوجةً لشخصيةٍ بحجمه، اتجه إلى أســـرته مبتدئًا بالأقرب فالأقرب، نفخ ذاته فيهم، لم يكن الأمر يتوقف عند هذا الحد، بل كان يطالب كلَّ من ملأه بذاته أن يكون شغله الشاغل وهمه الأول والأخير، تعهدًا ورعاية وثناء وذكرًا، منتظرًا منهم شـــكره وتقديره كونه شرَّفهم بنيل ثقته وقدمهم على غيرهم بهذه المكرمة العظيمة...

-لن أوصيكم بي، ولا أظنكم ستفرطون بما حظيتم به، ويسـرني أن أزفَ لكم خبرًا سرني كثيرًا، ولأنّي فيكم فسيسركم سروري.

قد ظفر بأصـــدقاء جدد، أعلنوا اســـتعدادهم الكامل لاحتوائه، كلٌّ بقدر استطاعته وطاقته، وسيبدأ غدًا أولى مراحل التحنيط، طلب من السابقين الأولين الحضور، لحضور حفل التدشين ليريهم كم

هو ذو أهمية، كما أنَّه يريـــــد أن يو صل إليهم ر سالة فحواها (أن احذروا من التقصير فيما أوكِلَ إليكم فهناك أسواقٌ جديدةٌ كثيرةٌ) بدأ يقسِّـــمُ نفســـه على أصـــدقائه، يعطي أكثرهم قربًا من نفســـه النصيب الأكبر منه، موصياً إياه ألا يخبر الآخـــرين بذلك فيكيدوا له كيدًا، كان يظن أنَّ الحياةَ فارغةٌ إلا من هؤلاء القوالب وما أن سمع يومها من أحدهم حديثًا عجيبًا. سمعه يتحدث عن السماء وسعتها.. عن البحر.. الرياح..

استغرب كثيرًا من أين حصل صديقه هذا على مثل هذه المعلومات والمسميات؟ مع أنَّه هو نفسه لا يعرفها!

- وأين توجد تلك الأشياء التي ذكرتها؟!

- في الخارج أيها الكبير.

- وأين هذا الخارج؟ أنا أعرف كلَّ شيء عني ليس فيَّ شيءٌ اســـمه الخارج!

- إنَّه عالمٌ آخرُ أيُّها الكبير... عرَّفني به أحدهم يومًا..عالمٌ واسـعٌ إلى حدٍ لا تتصوره.

- أحمق.. عالمٌ واسعٌ كبيرٌ إلى أيِّ حد؟

هل يتسعني مثلاً؟

- يتسعك..لا، لكن أظنُّ أنَّه أكبرُ منا.. وبإمكانك الا ستفادة منه كثيرًا.

- صفه لي.

- بدأ يصف له الأفق.. والسحاب والجبال والزرع والمطر والبحر وما يعرفه من مفرداتِ الحياة

فقط اخرج أيُّها الكبير.. وستراه.

حينها قرر الخروج من ذاتـــه إلى مشارف هذا العالم، وبدأ يفكر لعلَّه يتسعه أم لا...

في اليوم الثاني

- هاه أيُّها الكبير..هل خرجت أم لا؟

- خرجت.

- ماذا اكتشفت؟

- اكتشـــفت أنَّكَ مغفل.. قلت لكم مرارًا: لا شيء غيري هنا يستحق الخروج إليه.

- هل تقص لنا ما رأيته.. هناك.. يا كبير؟

- رأ يت كلَّ ما تحد ثه هذا الغر المبهور، رأ يت كلَّ شيءٍ، إلّا أنّي اكتشفتُ وأنا أقفُ على أعتاب نفســـي أن أوسع أفق جفني، وأعلى جبل أمام عيني أنفي، وأعظم ســحابة تغطي الســماء قذىً كان على عيني، واكتشـــفتُ أنَّ مبتدأ البحر وملحه دموعي، وأعتى الرياح أنفاسي، اكتشفت أنَّ العالمَ ضئيلٌ ولا يستحق الخروج، فعدتُ إليَّ

يكفيني منه أنتم، ويكفيكم منه أنا، أ شعر بالإعياء والتعب من عناء الرحيل إلى أعتابي والعودة... بإمكانكم أن تنصرفوا.

****

وحشيةٌ

امتطى ريشته، وأوثق زمام ألوانـــهِ، ليركضَ في براري لوحتهِ، أوكلَ أناملهُ الباهرة لتصوير ما يوحيهِ خيالهُ الخلاب بالروعةِ والجمال.
ما إن أنهى لوحتهُ التي منذ شهور يتعهد المجيء إلى الشاطئ بعدتهِ، كونها تطفئ جمال ما نسجه خيالهُ، تأملها بعيـــونِ ناقدِ سيبدي انتقاده يوم عرض لوحـــاتهِ، لم يسعهُ بعد جولةٍ فاحصةٍ لها إلا أن يحكم بروعتها، بعدما أمعن التأمل فيها... كأنَّها لم تكن من نسجِ خيالهِ، وإبداع موهبتهِ التي يشهد ببراعتها الكثيرُ من النقاد...
ولمّا تعهدَ خيالهُ المســكوب على اللوحةِ، أشــياء ملقاة على عاتقِ الشــاطئ، رفضَ البحرُ بقاءها فيه، الشــاطئُ خاضــعٌ لعبثِ البحر، وتحت أوامرِ غضبهِ وهدوئه، ليس أمامه سوى الاستسلام.
ما ألقاه من أصدافٍ، وأشياءٍ أخرى، وشجيراتٍ خضـــراء فقدت مقاومتها أمامَ صولاتِ وجولاتِ الأمواج.
الحوريةُ تفترشُ البحرَ القريبِ من الشـــاطئ، والأمواجُ تتدافعُ وتتهادى تحت ذيلها المســتلقي في الماء، والأســماكُ الصــغيرة تركضُ وترقصُ احتفاءً بقدومها، وتختفي تحت ذيلها، والشمسُ تصنعُ من شــعرها المســترســل جدائلَ ذهبيةً، وســمك القرشِ على مقربةٍ منها

نظراتهُ فاغرةٌ بأسـنانهِ الحادة مفرط بياضـها، وكانت الأمواجُ تعانقُ الفضـاءَ العابق بالزرقة، بنظرةٍ على لوحتهِ، مؤجلاً لمسـاتهِ الأخيرة بعد إسكاتِ معدتهِ التي استجدتهُ طعاماً.

ما إن أسـكتَ عصـافيرَ بطنهِ، أراد أن يلقي نظرةً أخيرةً ليعلن اكتمالها، سرعان ما اعتراهُ الغضب والدهشة، شيءٌ ما عبث بلوحتهِ، تمازجت الألوان لترسـم الدموع الحية على خدِ الحورية، التي تبكي على نصفها المنتفض في فمِ سمكِ القرشِ، وعيناهُ النازقتان بالغضبِ تتفقدان ما تبقى من جسـدها المنتفض، والذي جعل من حولها بحيرة دم.

الشـمسُ تكادُ تغيب، فوقَ البحرِ سـحابةٌ تجهمت بالسـواد، بينما حاولَ البحثَ عن عُدة الرسـمِ، والغضـبُ يتملكهُ، يدهُ تنتفضُ للبحثِ عن الفرشاة، وعيناهُ تتأملان الدماء المستشرية في لوحتهِ، حينها... تهادت يدهُ على أنفاسٍ حارةٍ ووخزٍ على إحدى أصابعهِ، على أثرها التفتَ صارخًا محاولًا الهروب.. طالبًا النجدة..

****

هدايةٌ

خرجَ في ا لمدينةِ خائفًا يترقب، يسبُ المكان وينعته بنكرانِ المعروف، وعدم الوفاء محاولاً تبديد حيرته في حين لم يعدْ لديه مكانٌ يتوارى فيه.

حين تكون مطاردًا فإنّك حتمًا ستختبئ في مكان تتوقع أن مطارديك لن يصلوا إليه، لكنَّه حين يفشيك لهم رغم علاقة الصداقة التي تجمعك به أَقَلُ ما ستصنعه أنَّكَ ستهجره، لتنعته لحظة انصرافك عنه بالخيانة والغدر، هذا إن لم يجعلك تأخذ موقفًا معاديًا من الأماكن كلها، وهذا ما حدث.

فبعد أن اكتشف خيانته وإفشائه لمطارديه لم يعد يثقُ بأيِّ مكانٍ مهما بدا آمنًا، أو مهما رحبَ به إذ يكفيه درسُ المكان الذي كان فيه والذي رحبَ به كثيرًا، وما إن بدأ يغفو حتى تسلل، وتركه نائمًا مقتفيًا أثر خطوات قدومه، إلى أن وصل إلى مكان كانت أثاره قد انقطعت بمطارديه إليه.

سأل المكان... المكان الذي يقفون فيه عن سر تجمعهم.

أجابه: إنَّهم يبحثون عن هاربٍ متخفٍ كما يقولون: في مكان ما في المدينة.

- أعرفه جيدًا اتبعوني.

بينما كان منطلقًا وراء المكان، يراقبه ويرصد كلَّ تحركاته، فهو لم ينمْ، وإنَّما تظاهر بالنوم من باب الحيطة والحذر لأنَّ إدراكهم له يعني نهايته، ولولا أنَّه سمعه بإذنه يخبرهم بمكان اختفائه لما صدق ذلك، هزَّ رأسه، وعض شفته متنهدًا تنهيدة عميقة، تمتم خلالها بكلمات نعته بالتآمر وتوعده بزيارة تصفية حساب.

الجامع هو الوحيد الذي قبل بقائه فيه وإخفائه إلى أن يبحث عن حل لموضوعه الشائك، في الحقيقة كان يودُ أن يظلَ فيه ما شاء، لكن ذلك ليس بيده كما أخبره بذلك الجامع نفسه، وهو يمسح منارته وقبته البيضاء متأسفًا من ذلك

- مشكلةٌ كبيرةٌ سيدي الجامع أن تصبح بحاجة إلى التخفي حتى من الأماكن، والتي تعرف أنت عنادها وإصرارها وعدم تفهمها للوضع.

- لا تيأس يا بني، فإذا ضاق المكان اتسع الزمان.

- الزمان، لماذا لا أفرُ إليه، الأزمنة هنا في الجامع الكريم تختلف عنها في مداخل المدينة وأزقتها وفضاءاتها الملبدة بالدخان والغبار، لحظة صفاء تملأ سماء الجامع تشبه إلى حد كبير فقاعات الصابون حين تعكس ألوان (قوس الله) تخترق الأعمدة والجدران متجاوزة السقف والمدينة والأرض باتجاه الغيب، تبدو صغيرة الحجم، لكنَّها

قادرةٌ على حملك والذهاب بك بعيدًا، يبدو أن الجامع لم يعد آمنًا إذ أن ضجيج مطارديه في تزايد وارتفاع مما يوحي باقترابهم....

- لا أدري كيف و لجتُ إلى حيث أ نا الآن، كما لا أعرف كيف عبرت إلى الزمن، كلّ ما أذكره هو أنَّني فقط كنت عازمًا على الفرار إليه، كان يجب عليّ أن أ شكر الجامع الشيخ قبل مغادرتي، كما كان عليّ أن أ شكر ذلك المسكين الصالح الذي هو حقيقة من أدين له بهذه الرحلة، رجلٌ غريبٌ يقطن المكان الذي هربت منه سمعتـــــه يهذي وكما لو أنَّه كان يقصدني،

احضرْ بعمرك مرةً

واثقبْ بوقتك لحظةً.. أو لحظتين..

وفح شذًا، عطرًا.

وغادر دون إذن منك كوزك

لُج زمانك.. من مكانك..

لست أول من تبخر..

لا تخف..

ستعود غيثًا هاطلًا..

لتلج مكانك.. من زمانك..

لا تخف ستعود طينًا

لكنه غير الذي تلبسه الآن قصيرًا.. ضيقًا..

غير الذي تأكله نيئًا..،
تسكن خلفه ظلاً..،
تعشه مهمشًا..،
وتموت تدفنه وتدفن فيه.. وحدك مرتين
يا صاحبي.. من لم يجئه الوحي..
فليصعد إليه..
من لم يجئه من السماء.. أمينها.. بالسر..
فلينفض.. غبار الوقت.. عن كتفيه..
وليغدُ فقط روحًا.. تشعُ..
ليغدوَ الروح الأمين
عرفتم كيف كان لهذا العارف الغريب صـــاحب هذا (البســـبور)
الشعري الفضل في وصولي إلى السماء!

****

انهيارٌ

استيقظت مبكرة...هي لم تنم أصلاً لتستيقظ، ساهدةً ظلت تحاول تعليل خروق حظها العاثر، تبحث في كومةِ آلامها عن بلسمِ صبرٍ لأملها المثخنِ بالجراح، والذي ذكأهُ وتركه ينزف حاملاً فراش نومه إلى المجلس، بعد أن أشعل مشكلة عيد حبهم العاشر، والذي صادف تلك الليلة، رافضًا مشاركتها إطفائها الذي ربما لن يحدث، إذ أن غضبهُ العارم دفعه إلى تصرف جعلها تعزم على تركها مشتعلة فوق منضدةٍ كانت تعلم أنَّها ستحترق حين تصل إليها نار الشك، بدون شك لِتحرِق عشهما الذي بنته قشةً قشة.

- قبل أن تخرج، إن كنت لا تحبني فأخبرني لأكون على بينة؟

- الحُبُّ لا يحتاج إلى كلامٍ لإثباته أو إنكاره.

- إذًا فلنترك للفعل إثباته، سأذهب صباحًا إلى دار أبي، إذا كنت مازلت تحبُّني فأنا بانتظارك، وإن كانت الأخرى.. فلن أحملك عناء أخذي إلى هناك، وأنت تعرف ما عليك فعله.

أرادت أن تختبرَ حُبَّهُ لها، لكنَّه لم يترك لها ذلك، كونه يعرف كلَّ ما يختلجُ في قلبها من المشاعر نحو أيّ شي، وهذا هو سبب كلّ شيء.

- كيف يعرف كلَّ ما يجول في قلبي؟! ولا يعرف وأنـــا التي ربعتُه على عرش قلبي، إنَّني أحبُّه... لم تكمل شرودها حتى قطع إطراقها وصمتها.

- من قال لك إنَّني لا أعرف حُبَّك لي؟! أعرف أكثر منكِ.

- وعلامَ تفتعلُ ثورة أحزاني؟

- حسبتكِ معجبةً بسوايَ، ولا أستبعدُ أنَّكِ تحبينه.

تغير وجهها، وهي تقسم بكلِّ غالٍ لديها: إنَّها لا تحبُّ سواه، مذكرةً إياه بكلِّ موقفٍ قامت به تجاهه، محاولةً من خلالهِ تأكيـــدَ حُبِّها الوحيد له، لتنفجر باكيةً مســتعظمةً افتراءه عليها ظلمًا، ميلها إلى غيره.

صرخ متهكمًا عليها مبالغًا في اســتفزازها، وهو يحمل فراش نومه: سأخلي لكِ الجو لتفكري بحرية في حبيب قلبك الجديد.

ما هزها هو أنَّها كانت تفكر فعلًا في صــديقهِ، لكنَّهُ تفكير مقارنة بين أخلاقه العالية في أسرتـــهِ، وأخلاق زوجها السيئة، لا تفكير حُبٍّ كما توَهم.. كيف يعرف كلَّ ما بخاطرها؟

رفعت رأسها المطرق ناظرةً إليه شزرًا مكابرةً منكرةً تلك السخافات التي ينسجها خياله.

- اســمعني قبل خروجك ولآخر مرة. أرادت أن تحلف.. ليقاطعها: أقسم بمن كُنتِ تقسمين به، أنَّكِ تعلمين أنَّني صادق..

لم تدرِ كيف تسـمَّرتْ في مكانها، ولم تبدِ حراكًا أمام يده التي ما أن بدأت الطيران فوق رأ سهِ حتى ارتطمت بخدها الأيســـــر، الذي لم يعد هناك فرقٌ بينه وبين دمها المنهمر بغزارة من أنفها، ليكون هذا أول يوم تمتد فيه يد إلى وجهها منذ ولادتها، لم تكن تتوقعُ أن صـفعتهُ سـتكون بهذهِ القوة!! تركها ودمها ودموعها ومشـاعرها، وصـدى كفهِ في نزيفٍ لا يضـمده الدهر، واتجه نحو غرفة المجلس، استدار إليها بغضب:

- ضعي في ذهنكِ أنَّكِ طالق إن غادرتِ المنزل دون إذني.

وقَّعَ على جملتهِ الأخيرة، وختم عليها بباب المجلس، الذي أغلقه فهزَّ المكان، تبعته بعينها ليدوي صوت السيدة أم كلثوم المنبعث من المسجل المغلق، (مع كلِّ الماضي الغالي...

- خلاص (يا ست) (للصبر حدود) وهذه هي حدوده، إياك أن أسمع منكِ ما يثبط من عزمي. اتركيني أضـع حدًّا لهذا العذاب، كان يا ست من الممكن أن أكون قد ا ستـــــرحت منه، لولا تدخلك في حياتي، اتركيني يا ست أروح وين ما أروح ما لك دعوة

(أروح لمين) خلاص (ثورة الشـــك) انفجرت، و طالني د مار ها، وو صلت حرائقها إلى سرير الروح وو سادة القلب، كانت تعرف أن خروجها يعني نهاية عزفهما النشاز هذا.

موعدٌ معَ الشمسِ

أولُ يومٍ لي في شقتي الجديدة، هي شقتي مجازًا، قبل أن أنسى يجب عليَّ غسل ما سألبسه يوم غد، الآذان الأول ينطلق من منارات المدينة، وبسبب الإرهاق والإعياء لم أشعرْ إلا بأشعة الشمس تحبو كالطفل المولع بوالده فوق وجهه، ليكون أول يوم أ صحو فيه مبكرًا، إلا أنّي صحوت مبتسمًا بزيارة الشمس، كونها أول ضيف يدخل شقتي، ولكونها أنثى، حرماني من الأنثى جعلني أتفاءل وأحبُّ كلَّ الأ شياء المؤنثة، وقبل أن أعود إلى النوم، تذكرتُ أنَّ عليَّ إخراج ملابسي إلى البلكونة، لم أكن وحدي من ينشر الملابس في بلكونته، أنثى بكلِّ ما تحمله الكلمة من معنى بنصفِ كُمٍ تنشر أشعتها، أقصد ملابسها في بلكونة العمارة المقابلة، بالرغم من بعد المسافة بيننا بحيث لم أتمكن من التدقيق في ملامحها، إلا أنَّ تقاسيمها وشعرها الطويل وجسدها الأبيض الناصع كانت تنم عن أنثى فاتنة.

- بالنسبة لي كانت كلُّ أنثى فاتنة - لمحتني وتوجهت إلى الداخل لتعود لنشر بقية الملابس مغطية ذراعيها وشعرها بسحابة لم تكن قادرة على حجب ما لم تعد حتى الجدران قادرة على حجبهِ، عاودت

الإطلالة بين الحين والآخر عليَّ أن ألمحها، دون جدوى، وبالرغم من سهري إلى موعد الأمس وتوقيتي لهاتفي إلى الحادية عشرة ظهرًا، إلا أني استيقظتُ باكرًا متجهًا إلى موعد نشر الشمس لملابسها في البلكونة المقابلة، أصبح ظهورها جزءًا من حياتي، إن لم تكن حياتي كلها، لم تكن لدي حياة، وإن كانت فحياة رتيبة مملة، حين كنت أسهر إلى ما بعد الفجر، أحيانًا فإنَّني أحاول الانشغال بالقراءة رغم عدم استيعابي، بسبب السهر والقراءة طوال الليل لئلا يفوتني طلوع شمس تلك الأنثى التي أعادت إليَّ صباحاتي المفقودة، ذات حمّامٍ شمسي نسيت أنّي وضعت جزوة الشاي على النار التي أطفأتها لتمتلئ الشقة برائحة الغاز الذي وصل إلى البلكونة، حيث كنتُ جالسًا بانتظار موعد شروق شمسي، انشغلت بفتح النوافذ، وإعادة تسخين الشاي، لأجد الشمس وقد نشرت أشعتها وعادت دون أن أراها، أرقتُ الشاي، ليس حنقًا لأني لم أرها حين خرجت، لكن ما حدث يوحي لي بفوات حلمٍ لم تسعفني نفسيتي المعكرة على التنبؤ به.. ما قرأته عن التفاؤل والتشاؤم كوَّنَ لديَّ ثقافة (بوشكينية) جعلت الأحداث لا تهمني بقدر ما يهمني ما توحي به، وترمز له، هكذا تعلمت مما قرأته وفقهته بل وعشته، كلّ حدثٍ نعشيه أو سلوكٍ نصادفه، أو لونٍ نراه، أو صوتٍ نسمعه، أو شيءٍ يفوت علينا أو نحصل عليه، يقول لنا شيئًا، الحياة من حولنا تجيد

الحديث، لكنَّنا لا نجيدُ فن الإنصات، ولا نجيدُ فنَ التأملِ، وبفقداننا لهما معًا فقدنا القدرة على كسر شفرة الحياة فلم نستطعْ أن ندخل إلى عالمها الذي استمرأنا العيش خارج سوره، يحرمنا صراخنا من سماع همسِ كلّ جامدٍ ومتحركٍ فيه، استلقيتُ على فراش نومي متمنيًا من كلِّ خليةٍ بجسمي لو تكون الفتاة هنا في هذه الشقة، وتخيلتُ كيف ستكون الحياة هنا مختلفة، وهي تدخل وتخرجُ وتنشر الملابس على بلكونتي، يا الله! ماذا لو كانت هذه الزفة التي تملأ الحارة وتتسربُ إلى شقتي زفة زواجي! لم أعد أتذكر متى نمت يومها، لتوقظني طرقات قوية على باب شقتي.

- من يسأل عني؟ أتمنى ألّا يكون المؤجر.

- أهلاً يا حاج، أعرف كلَّ ما ستقوله، وقبل كلَّ شيء العفو والمسامحة، وأعدك اليوم سيكون إيجارك معك إن شاء الله، قل :إن شاء الله.

- إن شاء الله، لكني أريدك في موضوع آخر.

- تفضل بالدخول.. العفو منك، أعزب ولا يوجد ما أقدمه لك.

- شوف يا بني أجمل شيء أنّك أعزب.. بخصوص الموضوع الذي أريد أن أكلمك بشأنه. بصراحة، ومن نهاية الموضوع، أنا عازم على الزواج.

- حسب علمي يا حاج، إنّك متزوج!!!

- متزوج ثلاث، وهذه الرابعة.
- طيب وتحتاجني في إيش؟!!
- بصراحة بحاجة الشقة، وانسَ أن هذه الشقة حقي، واعتبرني صديقًا مزنوقًا.
- طيب يا حاج، معك عشرين شقة، أو أكثر.
- كلّ شققي مؤجرة، وكلّ المستأجرين أصحاب عوائل، لذلك قلت لك أجمل حاجة إنّك أعزب، ولأنّك أعزب أنا مستعد أن أعطيك غرفة.. العرس الخميس، وتعرف الشقة تحتاج فرشًا وتجهيزًا.

لم أكن حزينًا على الشقة بل على الشمس التي لا أعرف كيف سأراها بعد اليوم، بدأت الفرحة تعود إليَّ ثانيةً، حين عرفت أن غرفتي جوار شقتها يفصل بيننا جدار، تبقى فقط انتظار الصباح، ها هو يطل، فتحت النافذة، انتظرت.. وبفارغ الصبر خروجها إلى حيث لا يفصل بيننا سوى الجدار، حبل غسيلها مثبت على جدار غرفتي، ارتفعت الشمس في السماء، وشمسي لم تشرق بعد، في الجهة المقابلة كانت تلك شقتي، وفجأة فتح باب بلكونتها، لتطل منه أنثى بكلِّ ما تحمله كلمة الأنوثة من معنى بنصف كم تنشر أشعتها، على حبل الغسيل الذي ثبته على تلك البلكونة، لمحتني وتوجهت إلى الداخل لتعود لنشر ما تبقى من الملابس مغطية

ذراعيها وشعرها بسحابة لم تكن قادرة على حجب ما لم تعد حتى الجدران قادرة على حجبه..

****

حكمةٌ

قال: إنّه توجه إلى حيث تقطن، وحين وصــل إلى حيث أشــاروا له، وعرف منزلها، تردد كثيرًا في الدخول، خصــوصًــا وأن جموعًا من المصــلين في المســجد الذي لا يبعد كثيرًا عنه، والذي دائمًا ما يحذرهم خطباؤه من البدع والخرافات، وإتيان العرافات والكهان، كانوا على مقربةٍ منه بعد خروجهم من صلاةِ عصــر ذلك اليوم، إلا أنّه عاد مرة أخرى بعد انصرافهم.

شَـوَّقهُ كثيرًا لزيارتها حين أسـهبَ في الحديث عنها، وعن الأشـياء الغريبة التي شــاهدها وســمعها ذلك اليوم، والتي كان منها معرفتها بأدقِ تفاصــيل رحلته إليها، منذ أن خرج من منزله إلى أن حام حول منزلها مترددًا في الدخول.

ولأنَّ حالته تســتدعي الذهاب إليها فقد طلب منه أن يصــف له المكان.

هذا هو كما يبدو لي من وصــفه، منزلٌ قديمٌ، و بجدرانٍ مقعرةٍ ومرقعةٍ ببقايــا أحجارٍ غير متناسقة، توحي للرائي أنَّها كانت نوافذ وردمت بالرغم من ضيقها، ومع أنَّه قال: إن بابـــه القديم لم يعد موجودًا، وأنَّه استُبدِلَ ببابٍ من الصفيح، إلا أنَّه لم يقل لي أنَّه يبدو

كفمِ مريضٍ هده القيء، ومازالت الريح تفتحه تارة، وتغلقه أخرى، تبدو الحشائش اليابسة في حوافِ سقفهِ الطيني المشقق القريب من الأرض، والمليء بأواني الفخار المكســـــــرة، والخالية من الرياحين والشذاب، الذي لم يبقَ من أثاره إلا سيقانٌ يابسةٌ، وجذورٌ ظاهرةٌ من أســـفل أواني الفخار تلك، كلّ ذلك يوحي بخلوه من الســـكان، كثيرون قالوا: إنّهم يأتون إلى هنا لعرض أنفســـهم عليها، ولكنَّهم يتراجعون عن قرارهم في الدخول حين يرون هذا المنزل، الخوف من المكاشـــفة ومن مواجهة الحقيقة، والوحشـــة التي تعتري الزائر حين يقترب منه، تجعلهم يعدلون عن آرائهم، أو أنَّ وضع هؤلاء الزائرين لآراء الناس وتقييماتهم في الحســـبان، وخشـــية اهتزاز صـــورهم في أنظارِ الغادين والرائحين، ربما هو ما يجعلهم حين يصلون إلى دارها يمرون وكأنَّه - وهو الذي كان وراء قطعهم لكلِّ تلك المسافات - لا يعني لهم بشـــيءٍ غير أنَّهم وكمن يلقي الحصى في البئر لإطفاء رغبة نزوله ا لخافتة فيه، يلقون شزرًا أنظارهم وأســـماعهم من باب وفتحات الد خان على جدرا نه المواجهة للطريق والمقابلة لرؤوس المارة ليحوّل ظلامهِ وسكونه دون استراقهم ولو نظرة أو همسة.

أخرجَ رزمة نقودٍ، وأخذَ منها بعض الأوراق التي سيدفعها لها، لولا شعوره بأنَّها تراه وتراقبه لرجع، مدَّ يده ليطرق باب الصفيح النصف

مغلق، وإذا به يُفتحُ إلى الداخل، وكأنَّ يدًا تشده، ظن أنَّ أحدًا ربما سيخرج.

- ادخلْ فلا أحد عندي لتنتظر خروجه.

كان مما عرفـــه أنَّ الزائر وقبل أن يتحدث يرمي إلى الزاوية ما يجود به من المال، ليدخل يـــده إلى جيبه ويخرج رزمة النقود ويرمي بها إلى إحدى الزوايا المظلمة، وتحديدًا إلى حيث انبعث الصـــوت الذي سمعه وقت دخوله، لم يزد على أن قال: أنا.. لتجيبهُ. حامل ومحمول، ولهذا جئتني، لو أنَّ الإنســان يا بني اســتطاع اســترجاع حياته منذ البداية لاكتشـفَ أنَّ ولادته من رحم أمه وإن كانت الأولى إلا أنَّها ليست الأخيرة، كما أنَّها ليست الأهم.

- وما دخل هذا بحالتي، ربما ظننت أنَّني امرأة؟

- ليست النساء وحدهن يا بني من يلدنَ.

- لم أفهم ما تقصدين؟!

- كل ما حُملَ ووُلدَ يَحمل ويلد، ذكرًا كان أم أنثى!!

- تقصدين أني...

- حاملُ وقد تلد، ومحمول وقد لا تولد؟

- مازلت..

- مازلت لم تفهم، لن أضيف على ما سأقوله، فأنصت جيدًا..

كلما أنتجت للحياة شيئًا.. وشعرت بألم إنتاجه، فألمك ذاك مخاض.

ضياعٌ

شعورٌ مغايرٌ في نفســـي، يوحي لي أنَّ هذه المرأة تتقمصُ شخصيةَ امرأةٍ أخرى، وأنَّها المسؤولةُ عن ظلم الآخرين لها، لتركهم يأخذون عنها انطباعًا لا يمت للمرأة التي بداخلها بصـلة، قبل أن تنصرف يائسةً من تسجيل ابنها، بعد أن شكلت بطريقة كلامها وتصعيرها لخدها أثناء الحديث، وتعاليها الزائـــد، إجماعًا بعدم تسجيله، ذي السنوات الست، قلت في نفســـي: ربما أنَّها تخفي وراء هذا التعالي، وتلك الأنفة انكســـارًا بحجمها، إن لم يكن يفوقها، ولم لا ؟ أحيانًا أستقوي بقدر شعوري بالضعف، أتكبرُ بقدر شعوري بالذُّل، وأتأمرُ بقدر شعوري بالعبودية، من حسن حظِّها كنتُ قد فرغتُ للتوِّ من الكتابة حول التناقض الذي أصبح جزءًا من حياة المجتمع، وكيف أنَّنا جميعًا نطوي كتب مآ سينا، ونخرج إلى المجتمع بظواهر لا تمت إلى البواطن بصلة، لأنـــاديها قبل أن تتخطى عتبة الإدارة.

- ارجعي، ربما نجد حلًا لموضوعك... استدارت بخطواتٍ ملوكيةٍ، لتقفَ إلى جوارِ مكتبي.

- لماذا لم يأتِ والده لتسجيله؟

- والده.. والده مغترب.

- (مـــــــووووغتاااربـــــــــــــــــ)!!!

بهذا اللفظ أعاد ابنها وبصـوته الصـغير كلمة (مغترب) كأنَّه يعبّرُ عن سخريته واستنكاره إجابةَ والدته، مما دفعني إلى الارتفاع قليلاً عن كرسي لأرى مصدر هذه السخرية البريئة والقادمة من برعم لا يكاد يبين.

- اسمك إيش يا شاطر؟

- وجدي.

- ليش تعلق على ماما يا وجدي؟

- وهي ليش تدلع وتقول مغترب، وهو مش مغترب!

- طيب وينه؟

- مات يوم ولدت، صح يا ماما؟

صرختْ بصـوتٍ غاضـبٍ مزيلةً وبعنفٍ يدهُ من على زجاج سـطح المكتب والذي كادت حافته أن تقطع أصابعه الصغيرة:

لا مش صح.

عجبت من فصـاحته، واسـتغربت من مداراتها لموت والده، لمحت الاستغراب في وجهي لتعيد إجابتها مرة أخرى وبدون أن أسالها.

- والده مغترب يا أستاذة.

- أحياناً كثيرة الأطفال لا يكذبون، خاصة عندما لا يكون هناك ما يدفعهم للكذب، وعلى العموم هل لديه شهادة ميلاد؟

ارتجفتْ شهادة الميلاد في يدها وهي تقدمها إليّ، لكن ما لفت انتباهي أن لمحت عينيها مغرورقتين بالدموع، حاولت الهرب بهما من نظراتي المتعمدة إليهما، مخاطرة إياها عن طريقهما: أن بوحي لي بما تخفينه.. قولي أيّ شيء.. انطقي بما تحاولين كبته.. يا ذات العينين الباكيتين، لتفتتح بوحها بوابلٍ غزيرٍ من الدمع.. أظنه أول غيث بعد قحط، هي وحدها من تعلم كم دام؟ جففت دموعها متمنية لو أنَّها لم تعدْ.

- ما بكِ خير؟

- لا شيء، لاشيء.

- تبكين وتقولين: لا شيء!! هل لديك مشكلة؟ أم أحزنك تصرف المدرسين إزاءك، ورفع السكرتير صوته عليك؟ هكذا هو دائمًا لكنَّه طيب القلب، أما بخصوص وجدي اعتبريه مسجَّلاً.

- أبكي من أشياء أخرى لا أريد أن أتحدث عنها، وبالذات أمام وجدي.

دفعتني الكتابة لمعرفة ما وراء هذا الشجن، طلبت من المتواجدين في الإدارة أن يتركونا قليلاً لوحدنا، كما طلبت من إحدى المدرسات أخذ وجدي إلى مقصف المدرسة لتشتري له شيئًا، قبل

أن تتكلم عن شيء تركت لمشاعري الصادقة نحوها أن تقرب المسافة بيننا، وكان ذلك .

- تفضلي بالجلوس لم أعرف إلى الآن اسمكِ لأناديك به؟

- أفراح..

- أفراح اعتبريني أختك، أشعر أنَّك تمرين بمشكلةٍ كبيرةٍ، ربما أساعدك في حلها، ثم عندما نبوح بمشاكلنا نخفف كثيرًا عن أنفسنا، فاعتبريني صديقتك، وإن كنت قد رأيتك لأول مرة، إلا أنّي أ شعر بأنّني أعرفك منذ زمن، صدقيني دموعك أ شعرتني بالحزن.. تنهدت من أعماقها لتنطلق بي إلى أصعب قرار اتخذته في حياتها حين تركت ا لجامعة، لترتبط برجلٍ لا تعرف عنه إلا أنَّه ثري كما قال عاقل الحارة، ظانةً أنَّه سيخرج أسرتها من فقرها المدقع.

أسرتها هي الأخرى لا تعرف عنه إلا أنَّه رجل أعمال وفد من إحدى دول الخليج للاستثمار، حديث عاقل الحارة عنه، وحديثه أيضًا عن نفسه ليلة تقدم لها كان كفيلاً بإقناعها بالموافقة، خصوصًا وقد وعد والدها وإخوانها بإشرافهم المباشر على مشاريعه العملاقة، لم يتحْ لها ولهم فرصة التعرف عليه عن قرب، المبالغ التي صرفها على عاقل الحارة والتي كان قد وعده بأ ضعافها إن تم الزواج، جعلت العاقل (يزنُّ) على أذنِ والدها على جعل الخطبة والزواج في

يوم واحد، الشـيكات الآجلة التي كتبها لوالدها، والنقدية التي نثرها بين أيدهم، وعدم ترك أيّ خيار في ذلك، دفعهم جميعًا للموافقة، لتغرب عليها شـمسُ ذلك اليوم في أضـخم فندق، جوار رجل لم تكن قد استوعبت أنَّها زوجته.

- أربعة عشـــر يومًا قضـيتها معه، تصـادقنا فيها مع الشـاطئ والبحر..الغروب، عرفنا فيها المدينة، وتجولنا فيها بسيارته الفخمة، وقبل هذا وذاك عرفنا فيها بعضـنا أكثر، لأصـحو وقد نزل كعادته دون إيقاظي، فتحت عيني على صـبح فتحت لي الدنيا فيه ذراعيها لأفتح كلَّ شيء أمامي النوافذ، الشاطئ، المسجلة تركت صوت فيروز يعانق السماء والبحر والبشر...

****

تأثرٌ

قالـــوا: لا أحد يعرف عنه شيئًا، أنا أعرف شكله تمامًا..ذلك لأن بيتنا يطلُّ على المقهى حيث كان يجلس دائمًا، حيث المكان شاغر.

- كيف مات؟

- فجأة قال أخي: كان يشـــرب الشاي وفجأة سقط الكأس من يده، هرعوا إليه... ليجدوا رأســـه متدليًا واللعاب يقطرُ من فمه، حركوه كانت روحه قد أنهت صعودها، في الوقت الذي كان دخان السجارة بين أصابعه مازال يتصاعد.

أخـــذ تامر مذكراته التي كانت تحت طاولته، كان يكتب عن كلِّ شيءٍ، عن الحارةِ، عن المقهى، وكيف اتسـخ النصـفُ الأسـفل منه بفعل الأيدي، والأعلى من الدخـــان، قال إن شارعنا يشبه القمع، كتب حتى عن الأكياس الفارغة، والتي تجوبه من ركن إلى آخر، بحسب اتجاه الريـــاح، عن الكرسي القديم، الذي كان لا يجلس إلا عليه، والمثبت في واجهة المقهى، قال: إن الجالس عليه يرى الشارع مكتملاً، كتب عن البيوت، عن الشـــــرفات التي تزينها والأيدي الجميلة التي تمتد لدفعها كلَّ صـباح، عن الأبواب الثقيلة، ومعالج

الأبواب وحلق الحديد، وأ صواتها حين تطرق بشدة ليسمع من في العلية.

- لكن أين الكلام الذي قلت إنَّه كتبه عني؟

- لم يصـــــــرح... لكنَّه يعرف كلَّ شيء، تذكرين حين منعتي من الخروج خوفًا من التقائك ب.....استمعي ماذا كتب عنه.

أذكر ذلك الطفل ذا الشفة المشقوقـــة، والذي ظلَّ فترةً يقفُ بين الحين والآخر في ذها ية الزقاق، حين يرى أ حدًا يقترب من مكان وقوفه، يصـدر جلبة بقارورة مياه فارغة على الجدران، وحين يزداد اقتراب القادم منه، يردد بصوته الجميل مقطعًا من أغنيته الوحيدة (مهلنيش) وأنفاسه تكاد تغيب، لم يلفت انتباهي في أيامه الأولى، إلا أن اقتران ســلوكه هذا بســلوكيات أخرى تصــدرُ قبله وبعده، جعلني أنفي دور الصدفة في تزامنها معه.

وقبل وقوفه هناك إذ تمرُّ امرأة فارعة الطول، مبالغة في ارتداء الحجاب من أمام المقهى، باعتباره مدخـــل الزقاق الوحيد للقادم من المدينة، كما أن الزقاق في كلِّ مرة يقف فيها، يكون خاليًا تمامًا، إضــافة إلى أنَّه لا يقوم بهذه الجلبة إلا حين يقتربُ أحدٌ من حيث توارت تلك المرأة.

أظن أنَّني عرفتُ ما يجري في ذها ية الزقاق، إذ أنَّ هذا الطفل في نظري إنَّما يؤدي بهذا الضـجيج واجبه، كما طلب منه، لم أنسـجم

مع ضجيجٍ قَطْ طوال حياتي، كما انسجمتُ مع ضجيجه، أن صدق حدسي فهو يقوم به لينبه من يحتاج إلى التنبيه، في الأ سبوع الثاني، مرتْ المرأة، وبعد دقائق مر أحدهم باتجاه المكان.

إذا ظهرَ الطفلُ هذه المرة فسأكون قد تأكدتُ...

ظهرَ الطفلُ، ابتسمت ابتسامة عريضة، إلا أنّي لم أكتبْ شيئًا عنه.

وذاتَ صباح وقد مرَّتْ أيامٌ، مرَّتِ المرأةُ، توارتْ، مرَّ الوقتُ.

الغريبُ هو أنّي لم أرَ الطفلَ حيث يجب أن يكون، انتابني القلق من قادمٍ ما لا يعرفه إلا أنا، لا بد من أحد يقوم بالواجب بدلًا عن الطفل، لم أشعر بالمسؤولية كما شعرتُ بها يومها، وجدتُني أتركُ الشاي، ومذكراتي، والصحف على طاولة المقهى، متجهًا إلى حيث يجب أن يكون الطفل واقفًا، حملتُ علبةَ مشروبٍ غازيٍّ فارغة، انطلقتُ، سبقتُ القادمَ، اقتربتُ من المكان، يظهرُ الطفلُ فجأةً مسرعًا يفركُ علبةً فارغةً بيديه الصغيرتين على جدران الزقاق، مرددًا بصوته الجميل أغنيتة الخاصة به، محذرًا من قدومي باتجاه المكان، اختلطتْ مشاعري، عدتُ إلى المقهى ضاحكًا ليس منه، بل مني، كيف تصرفت هذا التصرف؟ وأنا أنظر إلى مذكرتي من بعيد مسرورًا بما سأعود به من صيد هذا الصباح، توفي الرجل وجلس على كرسيه ذلك الطفل، يكتبُ أغاني أخرى في تاريخ المدينة.

خداعٌ

أعطاها من الحُبِّ والحنانِ والثناءِ والتدليلِ ما جعلها تشــعرُ باليتم كلّما غابَ عنها، لا تكف دمعتها ولا يهدأ حزنها حتى يعود.
كان يعرفُ أنَّ إغراقهُ لها عطفًا وحنانًا يتمخضُ عنه سهدٌ وعناءٌ لها كلما فارقها، كانت أعماقه تسمع نداءات قلبها له رغم بعد المسافة بينهما، كلما اســتيقظ من نومه مشــعلاً ســيجارته التي لربما حال بينه وبين إشعالها شروده شوقًا إليها ورحمةً بها، إذ أنَّه كلما أرق مد عنان خياله ليراها جالسةً أمام نافذة غرفة نومهما، واضعة رأسها على زجاج النافذة تناجيه بدمع حارٍ لا يجف، أين يكون الآن؟ وكيف حاله؟ ممنية نفسها بقدومه كلما لمحت ضوء سيارة متجهة نحو قريتها التي غمر النوم أهلها باستثنائها.
لم يكن بكاؤها عليه وعلى بعده بأكثر من بكائه عليها، بيدَ أنَّها كانت تنتظر عودته بين لحظةٍ وأخرى، وحده كان يعلم أنَّه لا جدوى من انتظارها، إذ أنَّ القدرَ لم يسمح له بالعودة، وكلما ذكرها وتذكر أنَّه وراء معاناتها تلك ناهيك عن شــعوره بالذنب، داعيًا لها بالصبر، معاهدًا نفسه تعويضها عن كلِّ لحظةِ غيابٍ ودمعةِ فراق، هكذا مرَّتْ عليه أشهر الغربة، نهارهُ شاردًا وليله ساهدًا، يستجلي

ربيع أيامه معها وكيف أصبح مضـــرب مثلٍ عند الجميع، فلم تعد ترى في الدنيا غيره...

حين يتذكر كلَّ ذلك تمطرُ عيناه بغزارةٍ شفقة بها ورحمة، هذه المرة عادَ وهو يحملُ لها إلى جانب هداياه الكثيرة، والتي يعرف أنَّها لن تلتفت إليها إذ أنَّها تريده، هو فقط -هاتفًا محمولاً إذ كم اشـــتاقَ لأن يُسمعها صوته علَّه يخففُ عنها بعض أشواقها، قبل أن يسمعها هو رغم شوقه لها.

مرتْ شهورُ الوصلِ واللقاءِ كأنَّها يومٌ ليخبرها بسفرهِ المفاجئ، كانت تعرف أن توسلها وبكاءها لن يؤدي معه إلى نتيجة لتقضـــي ليلة سفره ساهدةً باكيةً.

وحين بزغَ الفجرُ حزمَ أمتعته وغادرَ، مطمْئِنًا لها أنَّ ســـفرهُ لن يطول، وأنَّ صوتهُ سيصلُ بين الحين والآخر.

ظلَّتْ في انتظار جرس هاتفها متى ســـيعود، طمأنها قريبًا، وهكذا كان اتصـــاله بها دائمًا لا يخلو من ســـؤالها له عن وقتِ عودته، تغيرَ موالها من انتظارها لقدومه على النافذة إلى انتظارها على الهاتف، انقطعَ اتصاله بها أيامًا، قلقتْ عليه كثيرًا لم يتبقَ احتمالٌ سيءٌ لم يردْ إلى خاطرها إلا احتمال واحد، انقطعَ اتصاله بها ثانية، اتصلت به كانت أول مرة تتصل به قلبها ينبض بســـــرعة مرتبكة وكأنَّها ستحضنه لا ستتصل به

تفاجأتْ بصوتِ فتاةٍ.. من هي يا ترى؟ سألتها عنه، ومن تكون؟

- أنا زوجته.....

****

تحولٌ

اشتدتْ عليه الظروفُ فهاجرَ، لم يكونوا يعلمون عنه شيئًا، سوى أنه وصَّى أمهم بهم وخرج لطلب رزقهم فانقطعت أخباره، لم تكن أرض المهجر سوى نسخة أخرى لبلده التي لم تتسعه، إضافةً إلى أن همه تضاعف بسبب أسرته التي تركها من غير عائل، وفوق ذلك يعلم أنَّهم يفكرون فيه ليلَ نهار، إذ لم يعتادوا غيابه، رغم شوقه الذي لا يو صف لبنيه الثلاثة وابنته البكر، إلا أنَّ زوجته كانت تأخذُ النصيب الأكبر من تفكيره وسهده، ما أفدحَ ما صنعه بها!! إذ تركها تصارعُ الفقرَ والحرمانَ والشوقَ، حمَّلها عبئًا أثقلَ كاهله وأعياه وهو رجل، فما باله بها وهي امرأة؟ كان دائمًا ما ينتفض بعد كلِّ إطراق متمتمًا بكلماتٍ لا يستطيع السامع تمييزها من زفير أنينه، لا سبيل إلى التكفير عما صنعه بحقهم إلا أن يعود، وكيف يعود بعد كل هذه السنوات صفر اليدين؟ خائبًا منكسرًا، بماذا سيبرر غيابه عنهم؟! فهو الهجر والظلم والشوق، لينهض فجأةً مقطبَ الجبين معقودَ الحاجبين، يجمعُ أغراضهُ راحلاً، لا إليهم ولكن عنهم مرةً أخرى، بدأ رحلةً جديدةً، لتزدادَ أخبارهُ انقطاعًا حتى عن أصدقاءِ موطن اغترابه، أفكرُ أن أكملَ قصته من الخيال.

أثناء تدريســـــي في الجامعة تعرفتُ على طالبة، قالت: إنّها تعرفني منذ كنت أعمل في خدمة التدريس الإلزامي.

- ولماذا لا أعرفكِ؟

- ربما لأني كبرت.

-وما الذي أتى بكِ إلى هنا، مع العلم أن تـدريسـي الإلزامي كان في محافظة نائية؟!

دعتني كثيرًا إلى منزلهم، واعتذرت كثيرًا، انطلقت معها بســيارتها الجديـــدة الفخمة، إلى مكانٍ بحديقةٍ منسقةٍ، تأملتُها كثيرًا، حين مررنا فيها، كانت تحدثني، وأنا شــاردةٌ ذاهلةٌ، لا أســمعُ شــيئًا من حديثها، كأنَّنا في مكانٍ مفرغٍ من الهواء، ما أراه أ خذني بعيدًا، أحيانًا أقول: نعم وأحيانًا أخرى أهزُّ رأسي، ما أتذكره أنَّني ســألتها ريم ما هذا؟

لتجيبني وهي مستغربةٌ

- ألا تعرفين الكلاب؟!

ســكتُّ لأني كنت متأكدة من أنه كلب يرمق اللحم باشــمئزاز، والدماء لم تجف بعد، وكأنه وصل للتو من المسلخ.

كنت راغبة في التنقل في أرجاء الحديقة.

لكني تسمرت في المكان الذي طلب مني الانتظار فيه مذهولةً، سرقني المكان مني، إلى أن نادتني وهي في منتصف سلم البهو المفتوح، ما بكِ يا دكتورة! اجلسي؟!

كانت الحديقة تبدو من واجهات الصالة الزجاجية وشرفاتها المفتوحة والتي تدخل منها رائحة العطر والأريج من ذلك الخارج الخلاب، كنت أستنشق ما يصل إليّ منها فيتناغم مع ما أراه، أكثر ما أسرني فيه تلك السجادة الواسعة، والتي لها حظٌّ وفيرٌ في المكان الذي تتوسطه، رائعة الجمال متناهية الدقة، وصل نظري إلى الأشياء دون ترتيب أو استغراق في التمعن، دقة وجمال وفن يسر الناظر.

عادت إليّ لتقدم لي من الحلوى والعصائر، أصنافًا لم أعرفها من قبل، عرفت بعض أسمائها حين كانت تطلب مني تناولها.

أخذتني بعد (البريك فاست) إلى الجهات الأخرى من الحديقة، حيث الجنائني المبدع الذي ينسق هذه الحديقة ويتعهدها، مازال يسقيها ويثير التراب الذي تحت أشجارها، منظر الماء يتسرب في التراب، منظرٌ لم أشاهدهُ منذ زمن وعلى مقربةٍ من هذا التراب الثائر، والماء الذي يغوصُ فيه تنبعث رائحة الطين، رائحة أيقظت ذكريات كانت نائمة في ذاكرتي، متى استنشقت مثل هذه الرائحة، وأين؟ أذكر جيدًا كان التراب يشرب الماء، ليصدر صوتًا يشبه فوران المشروبات الغازية، وأشمُّ نفس هذه الرائحة، تذكرتُ جيدًا

أين كنت يومها في بيتٍ من الطين أفترشُ أرضيته متكئةً على أحد جدرانه المبللة بمياه الأمطار التي يسـربها سقفه، لتبلل الملابس المعلقة عليها، والنافذة مغطاة بكيسِ قمحٍ فارغٍ، شعرتُ يومها بالمأساة خصوصًا حين رأيتُ الحفرَ الطينية الطافحة بالماء أمام ذلك المنزل، وسُحُب الذباب والبعوض التي تملأ المكان، والكلاب والقطط المتجولة هنا وهناك داخل وخارج المنزل تنظر إلى الأطفال وهم يتعاركون، ليحصل كل واحد منهم على الجزء الأكبر من رغيف تطاير في الأيدي.

دخلت إحدى نساء القرية يومها فتطاير الدجاج، صرخت بهن تلك المرأة داعية عليهن بالهلاك.

- أين أمَّكِ يا بنت؟

كانت الأم صامتة وما إن مدت المرأة يدها إلى يدها وترحمت على ابنها، وسألت الله أن يصبر قلبها على فراقه، حتى ارتفع صوتها بالبكاء والنواح ليزداد العويل على ذلك الغلام الذي توفي، كان طالبًا يدرس عندي في المدرسة، وذهبت لأعزي أمه فلم يلتفت إليَّ أحد. الطفلان وأختهما كانوا يقفون هناك ينظرون إلى أمهم الثكلى بعيون يملؤها الحزن، وهم مايزالون يأكلون الخبز الذي ما أن ينتهي من أيديهم حتى أراه مرة أخرى، والأم تصرخ على ولدها (ناصر) كلُّ امرأة حضرت للعزاء كانت تقترب من الأم لتضع في صدرها بعضًا

من النقود إلى أن انصـــــــرفت آخر امرأة، أسرع الأطفال ليدخلوا أيـــديهم فيه ويخرجوها، ليأخذوها باتجاه أختهم الكبرى التي كانت تصـرخ بهما: انتظرا حتى تخرج الأستاذة، نهضتُ من مكاني متجهةً إلى الأم لأدس في صدرها ما تيســـــر مصافحةً لها منطلقةً باتجاه الباب خائفةً من السير وسط فوج الكلاب المنتظرة في الخارج.

- دكتورة، ما رأيك في منزلنا، هاه بماذا تفكرين؟

- ريم هل كان لكِ أخ اسمه ناصر؟

- نعم، لكنَّه مات، وهو ما يزال صغيرًا.

****

احتمـــالاتٌ

لا يدري كيف يجمع في هذا المكان بين شعورين متناقضين في آنٍ واحد، بين القلق والاطمئنان، وبين شعوره تجاه المكان بالصداقة والعداوة في نفس الوقت، وكيف أنَّه لا يحب البقاء فيه، كما أنَّه لا يرغب في مغادرته.

إلا أنَّ شعوره بالرهبة أو ما يشبه الخوف هو المسيطر عليه طوال الوقت حين يكون فيه، بعده عن القريـــــة وكونهِ في منخفضٍ بحيث لا تكادُ تطِلُّ عليه قرية من القرى المجاورة، ولا تشـــرق عليه الشـــمس إلا في الظهيرة، ولا تمرُّ منه طريق إلى غيره، يجعله قلَّما يجد فيه بشرًا، كثافة أشجاره الكبيرة والمعمرة تشعر المنفرد بها حين يرى عروقها الملساء والعارية مغروسة في التربة بحفلةٍ تضم عددًا لم يسبق لأحد أن رآه من المعمرين، يمسك كلٌّ منهم بشيشته غارقًا في صمته، وكأنَّه يستذكر أيام طفولته، يشتركون في الوقار والهيبة والإطراق الذي يشاركهم فيه الناظر والمنتظر بفارغ الصبر قيام أحدهم أو انقضاء الحفلة وقيامهم جميعًا.

تشابك الأشجار يشعره بعلاقة ما يحس بها فعلاً، الملفت للنظر أنَّه يسمعُ أحيانًا صوتًا ما بمخيلته فيلتفت إلى مصدره، حيث لا يجد

إلا شـجرة مائلة في اتجاه آخر، انحنت هي الأخرى باتجاهها، شـعورٌ غريب بداخله تمامًا كالذي يمدُّ يده مشـيرًا بإصـبعهِ، يأخذ نظره يسمره بهذه الشجرة أو تلك مما يجعله يجزم أنَّهن مصدر الصوت، وأن ميلانهن ميلان حديث منخفض، وهمس ارتفع ربما فوصـلَ إليه، ليسـأل نفسـه: هل كنَّ بهذا القدر من الميلان قبل أن ينظر إليهن؟! هذا ما لا يظنه، هكذا يتمتم في نفسـه عائدًا إلى دفتره لإكمال قصـيدته الجديدة، والتي حالت قوة أبياتها السـتة الأولى وجزالتهن والإبداع الذي شعر به فيهن دون إكمالها.

ربما سيطر عليه حضور المكان والروح التي يشعر الجالس فيه بأنَّه يكادُ يلمسها أو يصطدم بها، حياة يعجُّ بها المكان رغم أنَّه خالٍ إلا منه.

ومع انتصـافِ ليله بدأتْ القصـيدةُ تكتمل في دمه، شـعر بأنَّه بحاجةٍ ماسـةٍ لإراقتها، بحث عن دفتره، لكنَّه تذكرَ نسـيانه حيث قضـى نهاره.. نسيانه للأبيات التي كتبها، حديثه المشوق عنها لصـديقه وعن المكان، دفع صـديقه المسـكون بالمغامرة إلى اقتراح الذهاب إلى هناك لإحضاره.

قطعوا المسـافة بالحديث الذي وإن كان قد أعانهما على الطريق لكنَّهما لم ينجحا في التخفيف من الخوف المسيطر عليهما، والذي يزداد كلما ازدادا اقترابًا من المكان، ها هي الطريق بتعرجاتها قد

أفضت بهما إليه، وها هما يقفان على مدخلهِ الذي يكاد لتشابك الأشجار الشوكية والمنحدرات الصخرية يكون بابه الوحيد.

- ما رأيك نرجع أم ندخل؟

لم يزد الصديق على أن استغل إضاءة رفيقه إلى وجههِ مشيرًا برأسهِ وحاجبيهِ، والعرق يتصبب من جبينه المقطب أن يواصلا.

أخذ كلٌّ منهما نفسًا عميقًا، وغابا في ليلٍ آخرٍ من الأشجار الكثيفة والتي تحجب عمّا دونها ضوء النجوم.

- أنا...

نطقا مرة واحدة معًا، صمت كلٌّ منهما، ليترك للآخر فرصة الحديث، لم يتحدث أحدٌ، لينطقا معًا مرة أخرى، بادر أحدهما.

- تكلم...

- فقط كنتُ أريد أن أقول إنَّني أشعر بأن قدميَّ ثقيلان وجسدي عارٍ.

- أمكان الدفتر قريب أم بعيد من هنا؟

- لم أعد أذكر، فقط لا تتحدث بصوت مرتفع، ولنكن قريبين من بعضنا قدر الإمكان، احرص أن تجعل ضوءك موجهًا إلى أمامك مهما سمعت.

خطوتين وتوقف الأخير..

- قلت لك يجب أن نظلَّ قريبين من بعضــنا، ما الذي حدث؟ لماذا أطفأت مصباحك؟!

- اصطدمت بشجرة فسقط من يدي.

- أيصطدم الإنسان بشجرة بهذا الحجم ألم ترها؟!

-لم أرَها إلا حين اصــطدمت بها، لم تكن موجودة حين مررت أنت مكانها!!

- لم تكن موجودة؟ أم لم يكن عقلك موجودًا؟ اتبعني ولا تدع الخوف يســيطر عليك؟!! خطوتان وتوقف الأول. ليصــطدم به الآخر!!!

- ماذا حدث؟ لماذا توقفت، وأطفأت مصباحك؟ هل رأيت شيئًا؟

- لا شيء، فقط اصطدمت بشجرة.

- كيف تصطدم بشجرة بهذا الحجم، ألم ترها؟!

- لم تكن موجودة حين التفت إليك.

- لم تكون موجودة.. أم...؟

- أعرف ما ستقوله، لكن أقسم لك أنّها لم تكن موجودة بالفعل، وكأنَّ الأشجار تتحرك!!!

- أصــدقتني حين قلت لك لم تكن الشــجرة التي اصــطدمت بها موجودة، وأنّها ربما تحركت أو انتقلت إلى أمامي!

- صدقتك، لكن لن يصدقنا أحد، علينا أخذ الدفتر والعودة.

أصلح مصباحه، واستأنفا البحث بحذر.

- قلت إنَّك جلست على نباتات ليفية؟

- نعم صـــنعت منها مقعدًا وأســـندت ظهري إلى الشـــجرة، الدفتر موضوع عليها..

- أهذه هي النباتات التي فرشتها؟

- نعم هي، وهنا جلست.

- لكن المكان هنا ليس قرب شجرة، لعل أحدًا حرك هذه النباتات بعد أن ذهبت.

- كل شيء هنا يدل على أن هذا هو المكان نفسه، هذا التراب حفرته أنا، وأزلـــت هذا الحجر لأفرش مكانه النباتات، هذه السجائر التي شربتها..

اقتربا من بعضـــهما أكثر، وهما يتصـــببان عرقًا، لم يعد يهمهما الدفتر، إنَّما صار همهما الأكبر هو الخروج من المكان.

- ماذا يعني هذا بالنسبة لك؟ أقصد بما تفسره؟

- بم أفسره؟! لا يحتاج إلى تفسير، الأشجار هنا تتحرك.

- أو ربما أنها ليست أشجارًا!!!

- أشـــجارٌ تتحرك، ربما أنها ليســـت أشـــجارًا، فماذا عســـاها أن تكون، أشباح..؟!

- الجميع يقولون: إن هذا المكان مسكون بالجنِّ.

- على العموم احتمالاتك جميعها تحثنا على الرحيل وبأسرع وقت، شِعركَ وقصائدك هذه ستؤدي بنا إلى الهلاك.

اتجها إلى حيث ظنَّـــا أنَّه اتجاه المخرج، خوفهما من المكان جعلهما يعبران سياج النباتات الشوكية، خرجا من المكان بأعجوبة، اشتكى بعضـهما إلى بعض آلام الشـوك، قررا أن لا يلتفتا إليها حتى يصـلا المنزل، انحنى صديقه لينزع شوكةً يشعر باحتكاكها ببنطالهِ أسفل ساقه، ليرى دفتر صديقه ملقى على عتبة الباب، داسه دون أن يراه، حملهُ إلى الداخل.

****

مقاماتٌ

عادَ إلى مسقط رأسه بعد أن حصلَ فيه على شهادةِ الدكتوراه، والأستاذية من الجامعة الأمريكية، غادرَ نيويورك مخلفًا وراءه زوجته وابنته في إجازته السنوية التي قررَ هذا العام أن يسافرَ فيها إلى موطنه الذي استعصى على النسيان، رغم هذه الفترة الزمنية الطويلة.

كلّما اقترب من بلده عادتْ به الذكرياتُ إلى الوراء، وكلّما مرَّ بمكانٍ كان قد نام في ذاكرتهِ أيقظته رؤيته بعد نومٍ دامَ أكثرَ من ثلاثة عقودٍ من الزمن.

وحين وصل إلى قريته واقتربَ من دارهِ الذي وجده مقفلًا، سأل عن صاحبة البيت أين هي؟

- ليس له أصحاب... العمة هدى أو ابنتها هما من يفتحانه أحيانًا.

لم يكن يعرف أن العمة هدى هي نفسها جارتهم الشابة التي طالما كانت ترسل معه بمبالغ ليشتري لها حاجاتها من المدينة، كلّما خرجَ للدراسة قبل ثلاثين عامًا، لكنّه حين رآها لم يعرفها، عاتبته وذكرته بتلك الأيام بعد أن استفسرت منه عن سبب مناداتها، إذ أنَّها هي الأخرى لم تعرفه، خصوصًا وقد استبجع غراب رأسه

وتغيرت ملامحه، عدا فمه وأنفه اللذين قالت إنّهما يشبهان فم وأنف والدته.

فتحت قفل الباب الذي طلب منها بعد شكره لها أن تنصرف وتترك له إكمال فتح المغلاق، لم ينزع القفل المفتوح من مكانهِ، حتى تأكدَ من أنَّ المكان أصبح خاليًا، بعد أن صرفتْ هدى الأطفال الذين لا يعرفهم، والذين تجمعوا ليروا هذا السائح كما وصفوه.

بدأ بفتح المغلاق ليسمع ويحلق مع الصوت المنبعث منه، والذي تعمد عدم سحب الباب إلى الخارج ليسمعه أعادهُ صوته إلى الوراء، عائدًا به إلى حين عاد من المدرسة، ذات طفولته، وقد بلله المطر، وظلَّ يفتحه ساعةً كاملةً، بسبب تشرُّبِ الباب المصنوع من الخشب لمياه الأمطار.

فتحه مرتين أو ثلاث ليسمع صوت فتحه، والذي ذكّره بانتظارهِ لأمهِ التي كان هذا الصوت يعني عندهُ قدومها من أحد البيوت التي كانت تخدم فيها، لتوفر له لقمة العيش، ومصاريف الدراسة، بعد أن أخذ القدر والده، دمعت عيناه العسليتان، حين رأى نفسه يطير لملاقاة أمه يأخذ ما بكُمِّها من الأكل لسد الجوع الذي يبدأ بإسكاتهِ ثم يتذكر أمه بعد، ويدعوها لتأكل معه، وهي تلاحظه بعين المحبة والرضى مسرورةً هانئة...

شراهته وسرعته في الأكل جعلته يعض لسانه ذات جوعٍ... ليزيد من عتابه للقدر، وسببه للوضع، الذي حرمه من العيش كبقية أقرانه، وهي صامتةٌ مطرقةٌ أمام سيل شتائمهِ وحنقه على سوء حاله وحالها، ليدرك متأخرًا أنَّ صمتها يعني عدم قدرتها على عمل شيء، وأنَّها عاجزة ربما كعجزه أو أكثر، ليتحول من الانتقاد والعتاب إلى التمني والأحلام التي سيحققها لهما فور حصوله على الوظيفة.

لم يزل يذكر يوم ظلَّ في انتظارها ليخبرها بنجاحه وحصوله على مرتبة الأول في الشهادة الثانوية على مستوى الجمهورية، وكيف أغمي عليها من الفرح ها هنا، وفي هذا المكان الذي يجثو فيه الآن على ركبتيه، وضعها على حضنه ورشها بالماء وهو يبكي خوفًا من أن تكون قد فارقت الحياة، إذ طالما كانت تستمهل من الله -بحسب عقيدتها- حتى يكمل هو دراسته وتفرح به.

كما لم يزل يذكر يوم حصل على منحتهِ الدراسية، وكيف توسل ببعض أعيان القرية لإقناعها بتركهِ يسافر للدراسة وموافقتها التي لم يكن سيذهب من دونها.

عانقته ليلة سفره طوال الليل باكيةً متذكرةً أيام الجوع والألم والحرمان التي عاشتها لتصل به إلى ما وصل إليه من النجاح، كم بكت ليلتها لما تتعجله من وحشة فراقه ولما سيشعله اغترابه من الشوق والوجد والحزن فيها، وهي التي تعودت ألا تنام حتى تكحل

عينيها برؤيته قرير العين، هادئ البال، نـــائمًا إلى جوارها مطمئنة بين الحين والآخر على أنَّـــه ما زال مغطى خشية عليه من البرد أو البعوض.

كيف لا وهو ما أبقته لها الدنيا، وكيف ظلت ورأســـه في حضـــنها ليلة ســـفره، وكم عبر لها ليلتها عن أســـفه وحزنه لتعبها وإهدارها لصـــحتها في البيوت، واعدًا إياها بأنَّه ســـيعوضـــها قريبًا عن كلِّ ما قدمته له، وهي بدورها تردفه باكيةً بالأدعية التي تحفظها، وبأدعيةٍ أخرى ابتكرتها لتبوح له ليلتها بما عانته من التعب والشقاء، ما لم يعهد أن تبوح له به من قبل، وها هي ذي قد أكملت ما عليها، يمســح على رأســها وهو يرى دموعها تســيل بما تبقى من صــحتها، رافعًا من عزيمتها موصيًا إيـــاها بالصبر، واعدًا إياها مرة أخرى وأخرى بأنَّه ســـينســـيها آلامها ومعاناتها، بعد عودته من رحلةٍ دراسية لن تطول، عانقها في هذا المكان نفسه وقد جهَّزَ أمتعة ســـفره مقبلًا يدها وركبتيها، تاركًا فؤاده المضـــطرب من فراقها كالطائر المذبوح، وهي صـــامدةٌ صـــابرةٌ طالما أنَّ ما يقوم به يفرحه ويسعده. كانت تعلم أنَّها لن تراه ثانية بعد، وبالرغم من أنَّها عاشت سنوات بعد رحيله، إلا أنَّها كانت قد ماتت يوم رحيله، وهل لجسدٍ أن يعيش بعد خروج روحه منه وفراقها له؟

تنقل ببصـــــــره في المكان وكأنَّه غادره قبل أيام، كل شيء كما هو عليه، كلّ شـــيء تركه مازال موجودًا، ماعدا أمه، وقعت عيناه على أوراقه التي مازالت محفوظة في مكانها، والتي ظلت أمه تحافظ عليها وتنقلها من مكان إلى آخر رغم عدم جدواها، لا جديد إلا الغبار الذي يطمر كل شيء والشـقوق التي ازدادت اتسـاعًا، وخيوط العناكب التي تملأ المكان، صندوق ملابسه التي كانت تغسلها كل أسبوع حتى وإن لم يلبسها أحد لتشعرها بوجوده.

صـــورته المكفوءة بجوار فراشـــها والتي لم تكن تنام إلا وهي في حضنها، حذاؤها البلاستيكية القديمة، والتي مسحها بربطة عنقهِ رافعًا إياها إلى مســـتوى وجهه مقبلًا لها لترتجف بين يديه المرتعشـتين مبللًا إياها بدموعه الغزيرة نائحًا بأعلى صـوته واضـعًا إياها في حقيبته، عائـــدًا بها إلى جوار شهاداته التي لم تكن أغلى منها.

****

شهيدةٌ

عاد إلى منزله مسـرعًا إثر اتصالها به، ليجدها وقد انهارت تمامًا، ودخلت في غيبوبة كاملة، حملها إلى المستشفى.

- كنت أريد أن تقرأ ما كتبته خلال هذه الفترة، لكنَّني فقدته مع حقيبتي هذا الصباح، ربما كان سيفيدك في تخصصك، أنا سعيدةٌ أنَّك آخر من سمعت صوته، كنت أتمنى أن تكون آخر من أرى صورته، أطلب منك المسامحة، أشياء كثيرة كنت أرغب في البوح بها لك لولا أني لا أقوى على حمل القلم، أولادي أتركهم أمانة في عنقك.

كانت هذه وصيتها، التي وجدها بجانبها. وها هو يقرأها للمرة الثالثة، أمام العناية المركزة.

- خير يا دكتور؟

- نوبةٌ قلبيةٌ حادةٌ، قد تكون بخير، والأمر بيد الله.

شعر بالذنب إذ لم يكن آخر اتصال له بها لائقًا، ليس ذلك فقط بل لعدم تلبيته لها حين طلبت مجيئه الذي تأخر عنه بسبب عمله.

- لو حضرت لما حصل ما حصل، لكن هذا قدر الله.

- دكتور لو سمحت هل بإمكاني رؤيتها؟

- حالتها خطيرة... وتلزمها راحة تامة، بإمكانك ذلك لكن بشرطٍ، ألا تدخل أحدًا معك وألا تطيل.

جلس إلى جوار سريرها في غرفة العناية المركزة حتى المساء، احتكاكه بالدكتور مدير المستشفى ومالكه والمشرف على الحالة، ومناقشته له في تفاصيل تنمُّ عن إلمامه الكبير في العلوم الطبية، بل وتفسيره أحيانًا لمسائل لم يكن الدكتور نفسه قادرًا على تفسيرها، أكسبه احترام الدكتور وتقديره الكبير له، وخصوصًا بعد أن أدرك أنَّه متخصصٌ في الطب النفسي.

- أعتذر لمخالفتي لتوجيهاتك كوني أطلت البقاء بجوارها.

- أتمنى أن تطيل البقاء بجوارنا جميعًا، فالمستشفى بحاجةٍ ماسةٍ إلى طبيب نفساني متخصص.

في الثامنة تقريبًا، بدأت تتحرك، ليستغل حركتها هذه، والتي ينتظرها بفارغ الصبر، لكنّها وإن كانت بطيئةً وبسيطةً، إلا أنّها تمثل عنده الشيء الكثير، فهي تدل على عودة وعيها إليها، وإن كانت لم تستعد وعيها تمامًا، إلا أنَّ وجود ولو نسبة ضئيلة من الوعي، يمكنها من سماعه تفتح له نافذة إلى اللاوعي، والذي لا يمكنه الولوج إليه وإجرائه عليها، ما يسميه (بالتنويم الإيحائي) ما لم يضع قدميه في أول خطوة من خطوات رحلة الاستنطاق هذه على أرضية وعيها، أو ما يسمى بالعقل اليَقظ، والذي سيبدأ

بتحريرها منه ليخرجها من الغيبوبة المرضـية إلى غيبوبة علاجيه، يسـتطيع عن طريقها ومن خلال ما سـيبوح به عقلها الباطن، من معرفة ما الذي حدث لها، وكيف حدث، وما أسبابه؟ استغلَ وضعها في حالة الاسترخاء التام.

وبدأ التحديق إليها والتركيز على جبينها.

دقيقتان أو أقل، لتبدأ هي بهزِّ رأسها كالذي يقول نعم!!

وبعد أن تأكد من أنَّها تسـمعه تمامًا، افتتح جلسـته بإسـماعها النغمة التي خصـصـتها له في هاتفها –مرتين أو ثلاثًا – أَخَفَضَ الصوت قليلاً في المرة الثانية، وأكثر في الثالثة، وبدأ بمخاطبتها.

– حبيبتي أنا بجانبك، ترينني أليس كذلك؟ أرجو مسـاعدتك لي لأتمكن من مساعدتك. أنا واثقٌ من ا ستجابتك، كونه يحقق لك ما تودينه مني، ما رأيك، كيف أبدو... وأنا أرتدي البدلة الزرقاء التي تحبينها؟ وقميصـها السـماوي و(الكرفتة) التي أهديتها لي في ذكرى عيد زواجنا، الذي يصـادف اليوم؟ هل تشـمين رائحة العطر الذي أهديته لي؟ هي تفوح من ثيابي، ما رأيك بأن أبخ بخكِ منه؟ رفع يده باتجاه صدرها. وبدأ يحرك إصبعه تمامًا، كالذي يضغط على علبة العطر موزعًا ضـغطاته على الصـدر والكتفين والعنق، ربما كما كان يعطرها في المنزل مردفًا (عطر رجالي، عطر رجالي، وفيها إيش يعني).

الغريب أنّه حينما بدأ برفع يـــده باتجاه وجهها، بدأت تفتق ثغرها عن ابتسامة ساحرة، شادة عضلات وجهها، حاجبيها بقوة، مبالغة في إغماض عينيها تمامًا، كما يفعل أي شـخص حين يوجه أحد رشات العطر باتجاه وجهه.

كانت تحرك رأســها يمينًا وشــمالًا كما لو أنَّها تحاول تجنب وقوع العطر على وجهها، ثم ترفع يديها باتجاه يده التي ما لبثت أن أمسكت بها ضاحكةً، مبعدةً إياها عن وجهها.

- حبيبي ليس إلى الوجه..

محاولة بصــق ما دخل إلى فمها منه، كل هذا والممرضــتان تنظران باسـتغراب لما تشـاهدانه ولأول مرةٍ في حياتهما، اسـتغراب دفعهما للالتصاق ببعضهما، وإمساك كل واحدةٍ منهن بيد الأخرى.

- نونو ما الذي جرى لها بعد خروجي من المنزل صباحًا؟

في البدء ظنت الممرضــتان أن نونو هذا ربما هو اســم الدلع الذي يناديها به، اســتغربتا كثيرًا كيف يخاطبها كما لو أنّه يســتعلم شخصًا آخر عنها، إذ لم يكونــا يعرفان أنّها في غيبوبة، وأنّ من يتحدث الآن بلســانها إنّما هو عقلها الباطن، والذي أطلق عليه ا سم نونو، والذي بدأ يتحدث با سمها، وبصوت لا يصدق أحد أنه صوت مريضة ترقد في العناية المركزة، وبسبب نوبة قلبية خطيرة، موضـحةً له: أنّها صـحت من نومها بعد خروجك، فخرجت حاملةً

حقيبتها متجهةً إلى منزل صديقتها، لتصعد حافلة الأجرة التي ما إن بدأت بالتحرك حتى أوقفتها مقررة العودة إلى المنزل، قلقةً مرتبكةً إذ أنّها كانت تعرف أن هذا آخر نهار تقضيه، وأن أجلها قد اقترب، قررت أن تتصل بك، لكنّها لم تجد هاتفها، الذي ذكرت بعد البحث عنه أنّها وضعته في حقيبتها التي لم تكن هي الأخرى موجودة، هل من الممكن أن أكون قد نسيتها في الحافلة؟ بكت وبأعلى صوتها، لا على الحقيبة رغم احتوائها على أوراق وأوراق هامة ودفتر مذكراتها، ليقاطعها وماذا بعد؟!

- اختلطت عليها المشاعر، وتضافرت كل أسباب البكاء، إلا أنَّ كلّ ذلك لم يكن ليزيدها غمًا وحيرة وشرودًا فوق ما تعيشه، وتشعرُ به وهو ما دفعها إلى الخروج من المنزل والصعود إلى حافلةٍ كأنَّها لم تصعد عليها إلا لتضع حقيبتها ثم تنزل، كان دور القدر واضحًا فيما قامت به من تصرف، مما دفعها للإيمان به والتسليم المطلق له، لم يعد أيّ شيء تفقده يستدعي التحسّر طالما أنَّها ستفقدُ نفسها قريبًا، هكذا كانت تحدث نفسها في الوقت الذي مازال موضوع اتصالها بك واردًا، لتخرج من المنزل متصلةً بك تطلبُ منكَ الحضور وبسرعة.

- لأقاطعها... وأقول لها أنَّ الإرهاب الذي قامت به غير منطقي، وأنَّها أصـابتني بالخوف بسـبب بكائها غير المبرر، قلت لها ذلك، ليتني لم أقله، وانهمرت عيناه بالدموع... وماذا بعد؟

هل تذكر أنَّها قالت لك أنا متأكدة بأنَّ هذا اليـوم... كانت تريد أن تقول لك أنَّه آخر أيـام حياتها، لتقاطعها مرة أخرى قبل أن تكمل حديثها، وهل من الصـواب أن أتركَ عملي لأظلَّ بجانبك تحدثينني عن مشاعرك؟

-وبدأت أنصحها بأنَّ ضغط العمل وتراكمه، هو ما دفعني لمهاتفتها بتلك اللهجة، ثم متى بدأت تشعر بهذا الشعور؟

- أيّ شعور تقصد؟

- أقصدُ متى بدأتْ تشعر أنَّها ستفارق الحياة؟ من أين عرفتْ ذلك؟

- ابحثْ عن حقيبتها وستعرف ذلك من مذكراتها الضائعة، الكلام كثير ويحتاج إلى شرح، وربما أنّنا سنرحل قبل أن أكمل الحديث.

- بماذا تشعر الآن؟ لماذا صمَت، نونو هل تسمعني؟

- إنّها تسمع صوتًا آخر غير صوتك.

- صوت من؟

- صرخة ربما أنت لا تسـمعها، مازالت تدوي يشـعر من يسـمعها أنّها تنبعث من أعماقه، صـوتٌ سـتسـمعه يومًا حين يأتي دورك، وحينها ستدرك أن لا أحد يستطيع وصفه، صوت لا تشك أن أحدًا

في الكون لم يسمعه، ورغم أنّك وحدك المقصود به، إلا أنّك وحدك من لست بحاجة إلى سماعه، وأغمضتْ عيناها، فانفجرَ باكيًا.

****

مذكراتٌ ضائعةٌ

إهداءٌ
زوجي العزيز إذا اطلعت على هذه المذكرات فاتركها تقصُّ عليكَ ما لم أتمكن من قصه
التوقيع... زوجتك.

- قبل عام بالتحديد رأتْ في المنام أنَّك تنزع ملابسك، انتفضتْ من نومها فزعةً، أول ما تبادر إلى ذهنها أنَّها ربما فضيحة أو شيء من هذا القبيل، ظلَّت قلقةً عليك، في الليلة الثانية، رأتْ أنَّها ترتدي فستان عُرسٍ في حفلةٍ تُقرَعُ فيها الطبول من غير أن تعرف لمن ستزف، ولم يُسمَ لها عريس أو تنسب له، فقط عروس في موكبٍ كبير، ظلَّت رؤية تلك الليلة وما قبلها تشغلان فكرها، كانت خائفة عليك، لأنَّها وكما وصلت إليه باجتهادها لا يمكن أن تكون عروسًا إلا في حالة وفاتك، أذكر أنّها حين وصلت إلى هذه الفكرة بكت كثيرًا، ثم حاولت أن تنسِي نفسها ذلك.
وفي الليلة الثالثة رأت أنّها في بيتٍ جد يدٍ مجهولٍ ومنفردٍ عن البيوت أيقظتها وحشته من نومها تلك الليلة ازداد خوفها عليك أكثر، إذ أنّها كانت قد سمعت من أستاذة كانت في المدرسة ذات حصة أنَّ المرأة سكن الرجل وبيته، والرجل سكن المرأة وبيتها،

فإذا رأى الرجل في المنام شيئًا في دارهِ فهو في زوجته، وإذا رأت المرأة تغيرًّت أو هدمًّت أو فراقًا لدارها وسكنها فهو تغير وموت أو فراق لزوجها، هكذا كانت تفكر، إلا أنّها لم تحكِ رؤاها لأحد لما تعارف عليه الناس من عدم ذكر الرؤيا التي لا يحبها المرء.

في اليوم التا سع والعشرين من ربيع الآخر، وتحديدًا في الواحدة بعد منتصف الليل وهي تكتب بعض مذكراتها محاولة شغل فراغ غيابك، مدت يدها إلى أوراقٍ كانت فوق دولابها لتسقط صورتها التي كنتَ قد بروزتها حين سافرت في المرة الأولى وكسر زجاجها، ما قرأته عن التفاؤل والتشاؤم جعلها تحسب لكسر صورتها حساباتٍ كثيرةً، لما لا يعني ذلك أنَّ أمرًا سيئًا سيصيبها هي وليس أنت، وخصوصًا أن صورتك كانت جوار صورتها ولم يحدث لها شيء، هكذا ظلت تسائل نفسها لِمَ سقطت صورتها بالتحديد؟ سنوات والصورة هنا، لمَ سقطت اليوم، وفي هذا الوقت بالذات؟ بدأتْ تسأل نفسها عن اليوم وتاريخه، رفعت اليوم المنصرم من تقويم الحائط ليظهر، كان يوم التاسع والعشرين من ربيع الآخر، قرأت أسفله الحكمة التي تقول "اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنَّك تموتُ غدًا" ذِكرُ كلمة الموت أفزعها، وفي صباح ذلك اليوم وهي تمشي لفتَ نظرها كتابٌ لتعبير الرؤيا ضمن كتبٍ معروضةٍ للبيعِ على الرصيفِ، لتفاجئ وهي تبحثُ عن تفسير

رؤاها، أن الرؤى الثلاث تنبئها بموتها، فنزع زوجها لملابسه يعني مفارقته لها، لقوله تعالى ((هُنَّ لِباسٌ لكمْ، وأنتم لباسٌ لهنَّ)) فلباس الرجل زوجته والعكس، وأما كونها عروسٌ لعريسٍ لم يُسمَ ولم تعرفه فيعني موتها أيضًا، وأما البيت الجديد المجهول والمفرد عن البيوت فهو القبر، ثلاث رؤى متتابعات ختمتهن بكسرِ صورتها في التاسع والعشرين من الشهر إلى ذلك اليوم كان عمرها قد بلغ الثامنة والعشرين بحسب تاريخ ولادتها والذي كتبه جدها لها في مصحفه الذي مايزال أبوها محتفظًا به، وهكذا ظل العام التاسع والعشرون يعني لها عام موتها، وظلت كل يوم تقرب فيه من اليوم الذي تبلغ فيه هذا السن اقترابها من أجلها المحتوم، بدأت تتعامل مع الآخرين بأسلوب آخر، أصلحت علاقاتها بالجميع ابتداءً بالله، مخلصةً له، متخلصةً من كلِّ ما تظن أنَّه غير ذي أهمية، قبل شهر لا أعرف كيف استطاعت اتخاذ قرار بإحراق أوراق كثيرة و قصاصات ظلت محتفظة بها لسنوات، بدايات قصص وقصائد لم تكتمل، كانت تولد حين تولد ساخنة، ثم لا تلبث أن تبرد وتتجمد وأرقام هواتف شعرت أنَّها لم تعد ذات جدوى، وأدبيات، مواسمُ ودفاتر صغيرة وكبيرة، وكروت تعارف وعناوين كم كانت هذه الأوراق ذات أهمية عندها، أذكر أن أغلبها لم يكن يفارق حقيبتها، كانت تظن أنَّه لا يمكنها العيش من دونها،

وقبل بلوغها عامها التاسع والعشـــرين بشهر وأربعة أيام بالتحديد رأت في منامها ديكًا يصيحُ أمام منزلكم فتأكدت وقد أ صبحت بارعة في تأويل الرؤيا، والتي تؤول بالقرآن، فإن لم تجد لها تأويلاً أولتها بالحديث الشـــريف، فإن لم تجد لها تعبيرًا عبرتها بالأمثال والحكم، فإن لم تجد فباشـــتقاق اللغة ومعاني الأســـماء، كما أنَّها أصـــبحت مدركةً للأوقات والأزمنة ومطالع النجوم وحســـاباتها، وأقوال علماء التأويل والتنجيم والفلك، ما يهم هنا أنَّها أدركت أنَّها ســـتفارقُ الحياة بعد أربعة وثلاثين يومًا، حســـبتها بحســـاب الجمل فالديك ثلاثة أحرف: الدال حســـابه أربعة والياء عشـــــرة والكاف عشرين.

مشاعرها في أيامها الأخيرة لا توصف، قلق أحرمها كل لذة، وصفاءٌ أصـــلح علاقتها بكل شيء، شـــعورٌ غريب اعتراها في الأســـبوع الأخير، أحســـت بواجبها تجاه كلّ شيء، واجب الإحســـان إلى كلّ شيء، واجب المصـــالحة بين كلّ شيء، وواجب الوقوف مع كلّ شيء، وشـــعورها بعجزها الكامل عن فعل أيّ شيء، كان البكاء ملاذها الوحيد كلما ظهر لها عجزها جليًا عن قيامها بواجبها، وبدورها الاســـتخلافي في الأرض، بدافع العبوديـــــة أحبت الله، وبدافع الإنسانية أحبت البشـــر، وبدافع المعاشرة والملازمة أحبت الحيوان والجماد، بقاسم الكينونة أحبت الكون، تأرجحت في الأيام الأخيرة

من أســـبوعهـا الأخير بين القلق والاطمئنـان، وملازمـة الخلوة والنزوع إلى الطبيعةِ، في الخلوة تكادُ تســمعُ همس الملائكة، وتســبيحَ الجماد، و بدأت البواطن تأ خذ ها كثيرًا عن الظواهر، والمعاني عن المباني، والأرواح عن الأجســاد، خرجت من ذاتها الى ســواها أخذها الفراغ المملوء بما لا طاقة إلا للخالق بالإلمام به، وحصـــره متى سيدرك الناس ما أدركته ليصلوا إلى السلام الذي ينشدونه، السلام الذي عاشته

- قد تستغرب كيف عرفت بوقت موتها بـــالرغم من أن الله يقول (وما تدري نفسٌ ماذا تكسبُ غدًا وما تـــدري نفس بأيّ أرضٍ تموت)

****

قطراتُ روح

فارغٌ حتى من ذاتهِ، قنواتُ إحساسه معطلةٌ، ذبذباتُ مخيلتهِ بدأتْ كعادتها التقاط بث قناتها، كأنَّـه يحس ذاته تعود إليهِ، كهبَّةِ رائحةٍ ألِفَها كلُّ عضــوٍ فيه تجذبه نحو غرفتها -رآها تملؤها وهو يبحثُ عنها في بقاياها، رعشــةٌ قويةٌ تخلخلُ ســكناتِ ذاته، حين انتفض واقفًا، يتحســس كتفهُ دفءُ بنانٍ كصــاعقٍ كهربائيٍّ يرعشُ بدنهُ، دورةً كاملةً أتقنها جســمُه لاإراديًا نحو مصــدر الصــاعق، ليراها أمامه، متى قرعت الباب، كيف وصــلت إليه؟ لا يدري، حملَقَ في عينيها مندهشًا

هي... مستحيل.. كيف عادت.. صمتٌ يغمرهما، تجمَّدَ إلا من بقايا وميض أمل يداعب أوتار قلبه.

عاد لذاته ليجد نفسه جالسًا جانبها على حافة سريره مستغربًا حين صدت كفها بنانه حين امتدت لإزاحة ظلام وجهها.

أنت حبيبتي؟

لا بعض منها وهي كذلك... ربما روحها تهديك صدى أنفاسها.

هي ثلاث محطاتٍ ليليةٍ مرت بها قبل ســفرتها تلك.. كانت أصــعب غفوات عالمك، كيف لا.. وهي أتلفت نسائم سكنك.

كان شاردًا مندهشًا، مشتتَ الذاكرة.. صامتًا بلا حركة يسمع ولا يعي، وهي قابضةٌ داخل كفيها بنان يمينه، تحكي بصوتٍ لا يتجاوزُ حدود سريرهما.

قبل عام بالتحديـــد... أخذتها غفوتها الأولى لعالمٍ آخرٍ لتراكَ هناك تنزعُ ملابسك، عادت من غفوتها تلك مســـرعة لعالمك، ومخالب القلق عليك وأذياب الرعب توخز كلّ بضـــعة من بدنها، ربما فضيحة ستحدث لك... هذا أول ما تبادر إلى ذهنها كحل افتراضي مباشر.

تماطل الليل.. ولى الضياء.. جثمَ الظلام بكل جلابيب جبروتـــه عليها، عاد نفس الموعد الموعد..وقد أذبل القلق والتوتر كل بضـــعة تمرر بدنها.

لتمر بها غفوة ثانية.. أقسى من سابقتها لتجد نفسها هناك عروسًا تُزَفُ في موكبٍ ضخمٍ، لا تدري كيف ارتدت فستان عرسها، ولا من ذلك العريس الذي تُزفُ له

سكينة. انتفضت مرعوبة فاقعٌ لونها.. عاجزة عن لملمة ذات بعضها لبعض.. تتمتم بعيونٍ شـــاخصـــةٍ... وصـــمتٍ مطبقٍ... هل ســـكني ســـيرحل ويتركني هنا؟ أصـــعب اللحظات تمر حتى دارت الســـاعة دورتها الكاملة وهي متناثرة داخل شـــباك الحيرة، تعبث أمواج

القلق بتوازن أعماقها مستوحشةً ، مكروه ما يترقبك، تتخيله قربك قد يفترسك يومًا ما.
ظلَّتْ منهارة قواها، محطمةً هاربةً من أوهامٍ تطاردها، لتجد نفسها مرةً ثالثةً، مرميةً خارج عالمك في بيتٍ مجهولٍ منفردٍ عن غيره من البيوت التي رأتها أو ألفتها.
لكنّها عادتْ وبقايا بقايا ها محطمةً تمامًا تلاشى زنبق الأمل... أقدام الحياة... شعاع الأماني... أيقنت فراقك الحتمي لها... ظلَّ شعورًا ثابتًا في قوائم بدنها كونها استرجعت ما اختزلته أبراج ذاكرتها من بقايا دلائل بعض.
معلمتها تكشف لها عن تلك المحطات الراكدة من عالمها، أدركتْ أن الزوج هو سكن المرأة، حقيقة لابد من إيمانها بها خشية تحقيق أوهامها تلك في عالمك لا تحكيها حتى لأقرب منها إليها
وهي تدوّن هذه المذكرات محاولةً شغل فراغ غيابك عنها، ليلة الثامن والعشرين من ربيع الآخر تفاجأ حين مدت لجذب أوراق قابعة على سطح دولابها لتسقط صورتها هي صورة أخرى كانت بجانبها لم يصبها شيء، هي صورتك أنت.
حسابات كثيرة... أوهام جمة جست مخيلتها.. أتلفَتْ هدوء أعصابها حين كسرت صورتها هي، دونك.. وهذا اليوم بالذات طاشت نظرتها على جدار الغرفة، لتلتقط عبارة جاثمة على صدر

تقويم مصـــلوب قبالة دولابها، وحين حملقت فيها تســاقطت لإلّا نرجســيتيها محاولة نجع تلك العبارة التي مضــغها طرفها على مضض..

إلا أنَّها برهنت ما ترسخ في ذاتها، بعد سقوط الصورة موافقة ليلة مولدها التاسع والعشـــرين، دلائل برهنت لها حتمية سفرها هي، وليس أنت..

نوباتُ ألمٍ ترافقُها أقدامُ حســـــرةٍ تجتاحُ مفرداتِ جســمها.. تذكي جداولَ لا تبارحُ خدها أثناء وحدتها..

انعكاس وجداني متكامل يطمر محتويات إنســانيتها، ولم تلتقط نفحاته أبراج قلبك أو تلمســه أنامل إحســاســك، عزوفٌ تامٌ عن مغريات عالمك، مضــاعافاتٌ روحانيةٌ متعاقبةٌ بنهمٍ تقتاتُها، محاولةً لملمةِ ما تبقى من أنفاس عالمك زادًا لســفرها، حاجبةً عن لحاظك. تأوهات جبروت نزوح بعضها عن بعضك.

إحســاسٌ غامضٌ خالجها دونك... وهي قبل شــهر تتخذُ قرارًا كان مستحيلًا حين أحرقت أشياء كبعضها ملازمة لها ما فارقت بطن حقيبتها. قصائد لم تكتمل، بدايات قصصية، كانت تولد حين تولد ســاخنة، ثم لا تلبث أن تبرد وتتجمد على صــفحات وجهها، أرقامٌ هاتفية، أدبياتٌ، كروتُ تعارفٍ هامةٍ لها بل شرايين خطاها.

لكنَّها أدركت قبل وصول يوم التاسع والعشـــرين من محرم الفائت بشهر وأربعة أيام موعد الرحلة. حين جذبتها غفوة كسابقتها إلى عالمها المجهول. لترى فيه ديكًا يصـــيحُ أمام منزلكم، بعد ما انتفضـت من ذلك الكابوس بروح شـفافة وبريق بنفسـجي جسَّـدَ أمام رؤاها لحظة الوداع...

سـينتهي بعد شروق أربع وثلاثين شـمسًـا... حين حسـبت ذلك بحسابِ الجُمَلِ الدال: أربع.. والياء: عشرة.. والكاف: عشرين.

عزيزي: رحلت ولن تعود إلى دارك.

لكنّك قادرٌ في أيّة لحظةٍ يخطُها لكَ القدرُ الذهابَ إليها، وناولته المظروف، ضمه إلى صدره تفتقت أحاسيسه وهو يرشفُ من ثناياه الرائحة التي يبحثُ عنها.. لم يدرك متى خرجت؟ فتح المظروف.

حبيبي... هذه المذكرات ستحكي لك ما لم أتمكن من قصه لك...

****

نزيفُ الخبزِ

مازالَ الظلامُ مخيمًا، لأول مرة أكتشفُ أنَّ الليل طويلٌ طويل، ربما كالطريق لا ينتهي غير أنَّ لونه أ سود، طويلٌ وكبيرٌ وأ سود، أظن أنَّه يشبه الثعبان، نعم هو كذلك، ولذلك يخاف الناس منه، هكذا كانت ريم تحدثُ نفسها تحت بطانيتها التي تغطيها بعد أن نامت، وأيقظها الجوعُ تقتربُ ا لجدة منها، تنحني... تُقَبْلُ خد ها وأخواتها، ليس كعادتها أن تأتي في مثل هذا الوقت وهم نائمون

لم تفارق تلك اللحظات الحارة واللمسات الدافئة قلب ريم.

مازال همســها يرن في أذنها وهي تحدث نفســها غير مدركة أنَّ ريم كانت لاتزال مستيقظة.

ناموا جائعين أشعر بجوعهم يأكلُ قلبي لم أنمْ قهرًا عليهم.

سأخرجُ وأشتري لهم الخبز ربما لايزال القناص نائمًا، الوقت ما زال مبكرًا، وحتى لو كان مستيقظًا لماذا ترى سيقتنصني؟! امرأةٌ عجوزٌ لا مصلحة له في قتلي وحتى لو عرضت نفسي للموت.

الأولادُ جوعى، أموتُ ولا أراهم يموتون أمامي من الجوع.

كان هذا آخر ما سـمعته ريم من حديث جدتها وهي تلف غطاء جسـدها مسـتعدةً للخروج، شـعرت بالأمان وغلبها النوم قبل أن تغادر جدتها الغرفة مستودعة إياهم الله عز وجل.

لتسـتيقظَ على صـوت أمها: ريم، وداد، يا أولاد، الفطورُ جاهزٌ، مذكرةً إياهم أنَّهم لم يأكلوا شيئًا منذ الأمس، أصواتُ عدةِ طلقاتٍ من الرصاص متفرقة، وجدت ريم نفسها تسألُ: من أين حصلتِ على الخبز؟ قاطعتها أمها: أيقظي جدتكِ قد تكون ميتة من الجوع تذكرت ريم كلمات جدتها بمجرد أنّها لم تجدها على فراشـها، جدتي غير موجودة.

أين جدتكِ؟؟ ليست عادتها أن تنامَ إلى مثل هذا الوقت.

ألحت ريم على أمها من أين أتيت بالخبز هل جدتي هي من أحضرت الخبز؟

أسامة بن أحمد جـارنا هو الذي أتى بالخبز لو رأيتِه وجلًا مرعوبًا خائفًا من رصاص القناص التي أودت بحياة امرأة كبيرة بالسن.

سقطت على إثر رصاصتهِ الغادرة وهي تحمل الخبز، ومازالت مرمية في الشـارع أمام بقالة صـديـق، لم تتملكِ الشـجاعةُ أحدًا من الاقتراب منها أو التأكد من مفارقتها للحياة سـقط الخبز من فم ريم لتضـرب بيدها على صدرها صائحة وهي تتجه نحو الباب: إنّها جـدتي يا أمي لقد سـمعتها تقول إنَّها سـتخرج لتجلب لنا الخبز

جدتي...جداآآه جداآآآآآآه وصـــلت إليها، لكنَّها كانت قد فارقت الحياة يدها لم تزل ممسكة بكيس الخبز، السكون يلفُ المكان إلّا من صراخ ريم ومناداتها جدتها، رغم تأكدها من أنَّها قد فارقت الحياة،كلما رأت يدها مازالت ممســكة بكيس الخبز ازدادَ صراخها ونواحها، الجميع ينظرُ إليها من البيوت بعيدين عن النوافذ، خشية أن يصـــيبهم ما أصـــابَ جدتها، مازالت تمســـك بيد جدتها التي مازالت تمسك بالخبز الملطخ بدمها، وقفت وتركت جدتها متلفتةً يمنةً ويســـرةً مناديةً ذلك المأجور الجبان: قاتلٌ مأجورٌ جبانٌ، ماذا فعلتْ بكَ جدتي لتقتلها، لماذا قتلتَ جدتي أيها اللعين، اخرجْ واظهرْ أيُّها الجبان، جبانٌ متخفٍ كاللّصِ أنت أ صغر من أن تكون ظاهرًا للعيان، بُحَ صوتها وتلطخت بدماء جدتها وهي تحاول حملها سقطت ريم جوار جدتها على كيس الخبز المضـــــرج بالدماء، التي وكأنها تنزف منه ومازالت أصـــوات رصـــاص القناص تتعاقب بين الحين والآخر.

****

تتبعٌ

بينما سلمى تقتربُ من المكان الذي لطالما جلست فيه وخصوصًا تلك الصخرة التي تبدو ككرسي يتسعُ لاثنين فقط، وهي في الطريق المؤدي إلى مكانها المفضل، لطالما جلست على تلك الصخرة تتطلع إلى تحقيق أحلامها المستقبلية، مع من وعدها أنه سوف يشاركها المستقبل المنشود لهما، تذكرت كم مرات تركت بعضًا من محاضراتها لتلتقي بذلك الذي غادر الوطن بعد أن أنهى دراسته الجامعية، تذكرت مرارًا وتكرارًا ساعدته بمصاريف الكلية وأشياء، كان يريدها ويحتاجها طوال سنوات الجامعة، لم تمل من إعطائه حين يطلب منها ذلك، وحين تعطيه مبلغًا من المال مؤكدة لعلَّه يحتاجها ويخجلُ أن يطلب منها، نظرت إلى يدها وأمسكت بأذنها وصدرها الذي أصبح يخلو من الذهب متذكرة حين أعطته كلَّ ما ادخرته للمستقبل هي لم تجد حتى الآن الندم لما أعطته لأنَّه هو مستقبلها وأمانها، لكن ما يحزنها أنَّه طوال سفره منذ سنوات لم يتواصل معها محددًا متى تكون عودته التي تنتظرها بفارغ الصبر رغم أنَّ السنوات قد مرت، مبررةً له غيابه أنَّ الذي يعمل بالغربة ليس كمن هو في الوطن، تشعرُ بطولِ غيابه، ما يصبرها

ويثبت عزيمتها مجيئها إلى مكان لقاء عشقهم مصبرةً نفسها وهي تتذكرُ حين قال لها: يمكنك المجيء إلى هنا لانتظاري يومًا ما سأعود للقائك هنا وحينها سنجتمع إلى الأبد، لكن سألت نفسها بحزن: متى سيعود ومتى سيأتي هذا الوقت؟ بينما هي تقترب من صخرتهما التي لطالما وجدت نفسها معه في ذات موعد، بينما هي تقترب يبدو لها ظهر رجل وامرأة، ويعلو من بين كتف ذلك الرجل طفل رضيع يمد يده نحوها ساورها الغضب أين ستجلس لأنَّها ما جلست يومًا إلا بهذا المكان، وبينما تقترب ، الرضيع أحدث ضجة بحركاته ومناجاته لها، التفت والد الرضيع ليعرف ما الذي يحمل ابنه لإحداث كلّ هذا، تسمرت سلمى حين رأت والده أمامها، وتبعته بالتفاتة أمُّ الطفل، لم تعد سلمى قادرة على حمل نفسها، ومازالت في مكانها، وسرعان ما غادر ذلك الرجل مع زوجته المكان، وأخذت سلمى نفسها وجلست على تلك الصخرة تنظرُ إلى ذلك الأفق المجهم بالسواد.

****

انتصارُ حُبٍّ

جاءَ إليها في وقتٍ متأخرٍ من الليل.
طرقَ بـــــاب غرفتها فتحتْ له الباب ثم عادت وانطوت في زاويتها التي لطالما ألِفَتْها واستأنسَتْ بها.
جلسَ والدها قريبًا منها.
نظرتْ في وجهه قائلة له: ما الذي تريده في هذا الوقت؟
إن كنت جائعًا فقد تركت لك العشاء في المطبخ جانبًا.
- يا ابنتي أتيتُ لأعتذرَ منك وأقول لك شيئًا
أخبري حبيبك أنَّني تراجعت عن رفضـــي إياه وليأتِ فأنا مستعدٌ لتزويجك به.
- يـا أبي لقد ذهب والده إلى بيت آخر وتقدم لفتاة غيري فلا تفكر بهذا الأمر.
خرجَ والد ها المتراجع عن قســو ته المتلطف بابنـته الحزين على موقفه، المعلن الحائر على ابنته، الخائف على نفســيتها الواجف من فعلته.
وواجه شبح الظلم في غرفته.

لم يُغمَضْ له جفنٌ وظلَّ يتقلب على فراشـــه كأنَّه على جمرٍ حتى الصباح
لم يهدأ.
لم يفكر إلا بفعل شيءٍ يعيد ما ذهب.
راح إلى بيت معشوق ابنته بل وفاتنها الأول.
طرق الباب بقوةٍ وتابع بشدة.
خرجت والدة الشاب فقالت: حياك الله.
ما الذي تريد ومن تريد لأناديه لك مازال الجميع نائمين الآن.
قال لها: أين جمال؟
قالت له: ماذا تريد منه بعد أن فعلت به وبابنتك ما فعلت؟
وهل علمت ماذا فعلنا بعد أن رددتنا عن ابنتك التي تحبه ويحبها؟
نظر قاسـم إليها وقال ودمعة الحزن قد تصـلبت في جفنه ولم تنزل إلى خده الأسود المنهك المرتبك.
-والله ليتزوجن جمال بهدى شاءوا أم أبوا
صرخ جمال وكأن ملاكًا قد ناداه ليســمع ما يدور في الباب بين والدته وعمه الذي يئس من تحقيق لقب العم منه.
وخـــرج بقميصِ نومه طائـــرًا مبتهجًا وأقبل ليعانق عمه عناقًا لا يشبهه سوى الفرح الكبير، وقبل رأسه وقال له: والله لم أكن أحلم بشيءٍ في الدنيا كما حلمت بحبيبتي هدى

وما كان من والدته إلا أن وضعت يـــديها على فمها وزغردت حتى سمعها زوجها من غرفة نومه وبناتها وصبيانها وعدد من جيرانها.
أقبل جميع من سـمع الصـوت وحدثت الفرحة وأدرك الجميع الأمر وحمل العم والزوج والوالدة والأخوان أنفسهم ومروا بالبيوت والناس يلتفون معهم حتى و صلوا بيت هدى والعاقل ممن م شـــى معهم فناداها أبوها، فخرجت ونادى الشـيخ وأمســك بيد جمال وقال له زوجتك ابنتي هدى على كتاب الله وسنة رسوله
- قبلت
نظر الجميع إليهما.
فبكت
وبكى الجميع بكاءَ فرحٍ تجاوزوا به الهزيمة وأعادوا فيه الحب إلى ملاذه الحميم.

****

المصلوبةُ

كان يعرف أنها ستكتشف يومًا ما حقيقته، قرر أن يصارحها بالأمر، ظل كعادته، ارتأى أن يتركها تراه بشكله الحقيقي والذي ترك نفسه عليه، فأحدث جلبةً أيقظتها، مدت يدها برفق وما أن كشفت عن وجهه، صرخت بصوتٍ حادٍ مرتعد، مستعيذةً من الشيطان، كالذي ينتفض من كابوس، لينتفض مرعوبًا مضيئًا مصباح الغرفة.

-خير ما بك؟ وهي تتمتم بصوت ثقيل متقطع وجسمها يرتجف :كا..كا..كابوس،مخ .مخيف، مخيف، مخيف، شيء، شيطان، ليقاطعها خير، خير، لا تخافي، اقتربي، ضمها ونامت، ليوا صل سهره الأبدي منذ أن انحرف عن الجادة، وتعلم هذا الذي يلعن نفسه كل يوم، على تعلمه، لتعبث به الشياطين وتتلبس به، وتنهشه نهش السباع والجوارح الكاسرة كي تفسد جسده كما أفسدت روحه وقلبه.

بدأ يظهر لها بين الحين والآخر بصورته الحقيقية، ازداد ا ستفحال الخوف بها.. تشتكي له، لكنها ترى منه لا مبالاة لم تعهدها قط،ما

يزال ذلك الشبح يتراءى لها، بدأت تزعجه بكثرة تساؤلاتها عن هذا الذي تراه بين الحين والآخر؟

ذات مللٍ من تساؤلاتها، أجابها بصوتٍ مرتفع، وهو مستدير إلى الخلف: هل ما ترينه آذاك، أو ألحق بك سوءًا ؟ لتخافي منه كل هذا الخوف ؟

-لا.

-فلمَ هذا الانزعاج منه ؟

-لماذا تصرخ كُلَّما أشتكي لك من هذا الذي أراه ؟

-لم تجيبيني أولاً، هل ألحق بك ضررًا أو أذى؟

-لا، لكنه مرعب، أنت لم تره

-بل رأيته.

-أنت أيضًا رأيته ؟!

-نعم وكلمته، وسمعته، إذا كان ما ترينه يُحبُّكِ، ويخاف عليك أكثر من نفسك.

-يحبني.. ما يكون هذا الذي أراه ؟ من الجن، من الشياطين، أم ماذا ؟

-إنسان مثلك له خصوصياته، المهم أنه لن يؤذيك، يحبك، وأتعهد لك أن يكون عبدًا مطيعًا لك.

- ماذا يريدُ مني، و لماذا اختارني أنا، و ما أدراك أنه لن يلحق بي أذى؟ !

-بل أدري، لأن هذا الذي ترينه هو.

-هو ماذا ؟!

-هو أنا. واستدار، لتسقط مغشيًا عليها،لكنه هذه المرَّة أصرَّ على أن تستفيق من غيبوبتها لتراه على صورته الحقيقية، لتعود في غيبوبتها مرةً أخرى وأخرى، إلى أن فتحت عينيها، ولأول مرة تصبح قادرةً على التأمل في وجهه، كما لو أن نظرها قد بدأ يألف المنظر، تدقيقها في وجهه الأصفر الفاقع، والذي يتوسطه أنف محدب، تعلوه جمرتان طوليتان لا يرمش لهما جفن، زاد من بروزهما وظهورهما ضوء الغرفة الخافت، وفم دائري مجعد مجموع كفوهة كيس مربوط، ذقن يشبه القمع، لتنادي أباها وأمها كالطفل، كلما تفتح عينيها تراه بجانبها.

-أعدني إلى بيت أبي، واسترسلت في البكاء.

-لكن يجب أن تعودي يا ابنتي، وسنبحث فيما بعد عن طبيب، أو معالج.

فجأة بعد أعوام من الغياب والشرود والانقطاع بدأت تتبادل الأحاديث مع زميلاتها اللواتي كلما تحدثن عن أزواجهن جعلن من زوجها مثلًا أعلى للزوج النموذجي والصالح، لما يلحظنَ من دماثة

أخلاقه معها أمامهن أو معهن، حينما يوصلها كل صباح إلى عملها، فيحسدنها عليه وتبتسم بسخرية، كلما تمنت واحدة منهن لو أنه كان زوجها.

مرت السنوات،تخرج وتعود، الحلول كثيرة ولكنها مصروفة عنها . ذات يوم صادف عيد زواجهما، اقترح عليها المصالحة، التي رفضتها شكلًا ومضمونًا، اتجه إليها بابتسامة صفراء.

-أنت تعرفين أنني قادرٌ على فعل ما أريده، وهي آخر فرصة أضعها أمامك .صمتت قليلًا.

-على الأقل أبعد هذا الشكل المقرف عني، وعد إلى شكلك الذي يراه الآخرون.

ليصرخ في وجهها والشر يتطاير من عينيه.

-قرآنك وتصرفك الأرعن أيام ظهوري الأولى بتلك الهيئة جعل ظهوري بها عليك مستحيلًا.

-وكيف تظهر على الآخرين بها ؟

-كما كنت أظهر عليك قبل أن تفسدي الأمر، آخر خيارات سأضعها أمامك، ثلاث هيئات هي ما أستطيع أن أظهر عليك بها، ما ترين، أو بهيئة القرد الذي يقبع في غرفتي، أو بهيئة الشماعة الرابضة خلف باب مقصورتي.

ولأنها كانت مرغمة أن تختار، اختارت أقلهن روحًا وأقربهن أنسًا

-الأخير.

-نحن مدعوان إلى حفلة عرس.

-اذهب وحدك.

-ستحضرين، لأنك تعرفين صلة قرابته بنا.

حضـــرت مرغمة مرتدية ما طلب منها ارتداءه، لتسلب عقول النســاء بجمالها، لكنها لم تكن أجمل ولا أكثر فتنة منه، ثنـــائيًا متناســقًا يدعو للغبطة والحســـد، صرفا القلوب والوجوه عن العروسين نحوهما، وخصوصًا حين قاما بالرقص، تصنم الجميع، لا حركة إلا حركة عيون النساء، يكدن يزلقنهما بأبصارهن حسدًا لها عليه، تكاد أعينهن ينطقن بما تخفيه قلوبهن من إكبار وإجلال وفتنة، وتتصاعد زفراتهن كلما وضع يدًا على خصـــرها، وأخرى على منكبها، كانت هي أيضًا واضعة يـــديها إحداهما على خشبة صليبه الأفقية، والأخرى على خصـــر خشبته العمودية، عازمة على مواصلة مكابرتها إلى شوطها الأخير، مبتسمة والأضواء تشع من عينيها المغرورقتين بالدموع، ساخرة من حسد النساء لها عليه ولسان حالها يقول(حتى على الصلب لا أخلو من الحسد).

****

تسلطٌ

برهان الذي وجد نفسه يتيمًا تكفلت به خالته، وهو لا يعرف عن نفسه سوى أنه في مدرسة خاصة، وعرف عنه التميز لتحقيقه في كل عام دارسي المركز الأول بلا منافس، ومن يدخل فصله من المعلمين يجد نفسه ضجرًا وكارهًا التدريس لنوعيات طلابه، وكان عزاؤهم الوحيد برهان، الذي يثير غيرة زملائه، وحقدهم .وقد رافقت حياته مذكرة أهدته إياها خالته في العام الماضي لحفاظه على المركز الأول، وقد وجد حياته ممتعة بها فهو يكتب عليها آماله وأحلامه ومشاعره، فما أن يفتحها حتى تتسرب موسيقا هادئة منبعثة من بين سطورها وصفحاتها الملونة مصاحبة لفتاة فاتنة ترقص الباليه على أنغام روحه وأمام ناظريه مما يثير الغبطة في قلبه وتظل ترقص حتى تصل إلى راحة يده. أغلقها ليضعها وسط السطور التي كتب عليها أحلامه وتطلعاته، فأصبحت تلك المذكرة وتلك الفتاة جنة تنفسه، تعيد ترتيب روحه المتعبة. ذات صباح أخذها مع كتبه المدرسية وكان منهمكًا بالكتابة متابعًا أستاذ الرياضيات، امتدت يد غليظة من زميله (فؤاد العزيز) سبقتها يداه تحميها من ذلك الفؤاد الملقب بشريخان، دار عراك بينهما مما أدى إلى كسر رباعية شريخان من المعلم، الذي أنهى العراك بدفعه

من على برهان، فاصطدم بإحدى الكراسي، عندها احتضن برهان مذكرته، بعد أن قرروا على إثرها الاستغناء عن المعلم، ناهيك عن العقوبات التي أنزلوها به من حرمان الحضور، والسجن والاعتذار لزميله الذي اعتدى عليه مما أثر على نفسيته، وكان عزاؤه سلامة مذكرته وتحفيز معلمه المغادر له بقوله: (لا تستلم ولا تدع هذا الحقود يأخذ مكانك. فنحن في زمن يأكل القوي الضعيف (عاد برهان بعد غربة طويلة، بعثه الوطن لإكمال درا سته بأمريكا نال التميز - كعادته- بشهادة عليا وبراءة اختراع، عاد لخدمة وطنه. سلم ملف تخصصه لكل مكاتب الوزارات، حيث سيدخل بمفاضلة لينال الوظيفة مع المتقدمين بطريقة رسمية، لثقته بتميزه العلمي، خا صة لم يكن في وطنه أحد يحمل نفس تخصصه النادر. انصدم بكلام المسؤول الذي وجهه إليه: لقد شُغلت الوظيفة المعلن عنها لابن الوزير (الفؤاد العزيز).

تبعثرت مذكرته ماتت الفتاة.

****

السيرة الذاتية للكاتبة

-نعمة مهيوب الحِميرَي - من مواليد شرعب تعز عام ١٩٧٨

-بكالوريوس تاريخ جامعة إب عام٢٠٠٥م

-قاصة وشاعرة

-تعمل مديرة مدرسة

-نشرت في الصحف اليمنية قاصة وشاعرة

-شاركت بالندوات الأدبية داخل اليمن ومنها المؤتمر الرابع للقصة عام ٢٠٠٨م

- شاركت خارج اليمن في برنامج مسابقة أمير الشعراء في دولة الإمارات المتحدة عام ٢٠٠٩م.

- عضو منتدى مجاز الأدبي إب

-عضو نادي القصة المقة

-شاركت في إحياء صباحيات شعرية وقصصية في محافظة إب ذمار .تعز

-لها ديوان شعر سيخرج للنور قريبًا

-مجموعة قصصية "خطوة في الحلم" وهي ما بين أيديكم.

****

محتوياتُ الكتاب	
الإهداءُ	٣
المقدمةُ	٥
كلمة الناشر	٨
تقمصٌ	٩
إرادةٌ	١٤
مقايضةٌ	١٨
استباقٌ	٢٢
سخريةُ الارتحالِ	٢٨
وحشيةٌ	٣٢
هدايةٌ	٣٤
انهيارٌ	٣٨
موعدٌ معَ الشمسِ	٤١
حكمةٌ	٤٦
ضياعٌ	٤٩
تأثرٌ	٥٤
خداعٌ	٥٧
تحولٌ	٦٠
احتمالاتٌ	٦٥
مقاماتٌ	٧١
شهيدةٌ	٧٦
مذكراتٌ ضائعةٌ	٨٣
قطراتُ روحٍ	٨٨
نزيفُ الخبزِ	٩٣

تتبعٌ	٩٦
انتصارُ حبٍّ	٩٨
المصلوبة	١٠١
تسلطٌ	١٠٦
السيرةُ الذاتيةُ	١٠٨
محتوياتُ الكتابِ	١٠٩

تمت بحمد الله

جميع حقوق النشر الورقي
و الإلكتروني محفوظة للناشر